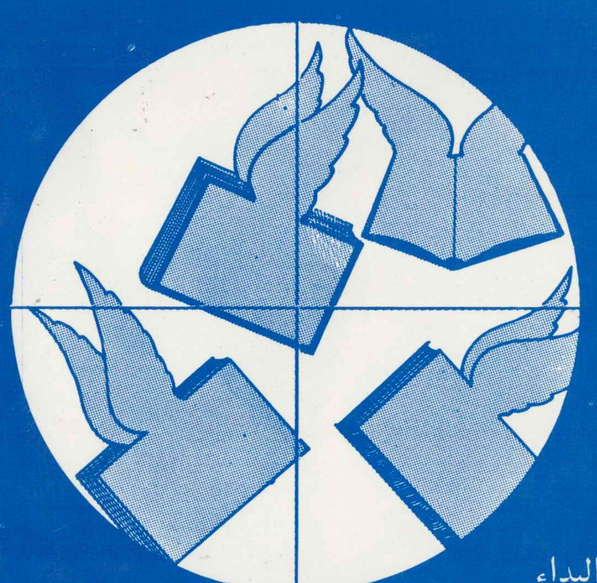
رسائل



* مسألة البداء
* التقية في القرآن والسنة
* نظرة مستعجلة في مسألة تحريف القرآن

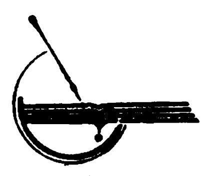
العلامه الاستاذ سيد سعيد أختر الرضوي

رسائل

* مسألة البداء
* التقية في القرآن والسنة
* نظرة مستعجلة في مسألة تحريف القرآن

العلامه الاستاذ سيد سعيد أختر الرضوي





ايران ـ قم ـ شارع الشهداء ـ فرع ٢٢ ـ مؤسسة أنصاريان
للطباعة والنشر ـ ص ب : ١٨٧ هاتف ٧٤١٧٤٤

- اسم‌الكتاب : رسائل
- المؤلف : العلامه الاستاذ سيد سعيد أختر الرضوي
- النـاشر : مـؤسسـة أنصـاريان ـ قم
- سنـة الطبع : ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦ م
- الإخراج الفنى : فَرانَشر ٧٣٥٧١٢
- المطبعـة : الصـدر ـ قم
- عدد النسخ : ١٠٠٠



الفهرست

مسألة البداء ٥ـ٣٠

أ ـ بعض العقائد غير الإسلامية حول إرادة الله و قدرته ١٠

ب ـ العقيدة الصحيحة الإسلامية ١١

ج ـ النسخ في التشريع و البداء في التكوين ١٣

د ـ اللوح المحفوظ و لوح المحو و الإثبات ١٦

هـ ـ ما هو المراد من «بدا لله»؟ ١٩

و ـ بعض أمثلة البداء من القرآن ٢٣

١ ـ ذبح إسماعيل ٢٤

٢ ـ إعطاء التوراة لموسىٰ ٢٧

٣ ـ كشف العذاب عن قوم يونس ٣٠

التقية في القرآن والسنة ٣١ـ٥٨

التّورِيَة ٥٢

متىٰ لا تجوز التقية؟ ٥٦

نظرة مستعجلة في مسألة تحريف القرآن ٥٩ـ٩٦
خطة أعداء الإسلام ٦٨
الف) ظهور الروايات المزورة في عالم الإسلام ٧١
ب) إعترافات بعض المفترين و الوضاعين ٧٤
ج) بعض الروايات الدالة على النقص في القرآن ٧٧
١ ـ سورة الأحزاب ٧٧
٢ـ سورة التوبة ٧٨
٣ـ سورتا الحفد والخلع ٧٩
٤ـ سورة مثل البراءة ٨١
٥ـ سور مثل المسبحات ٨١
٦ـ ضياع كثير من القرآن ٨١
د) فكرة أهل السنة حول هذه الروايات ٨٣
ه) نظرية الشيعة ٨٥
و) ما هو الهدف الحقيقي للإسلام الأمر يكي من إثارة هذه في الوقت
الحاضر ٩٢

مسألة البداء

الحمد لله وكفىٰ والسلام على عباده الذين إصطفىٰ

إنّ مسألة البداء من المسائل التي لم تزل معركة الآراء بين علماء الإسلام -فأهل السنّة يَعيبون الشيعة بسببها و يشنعون عليهم- و ليس منشأ ذلك إلاّ سوء تفسير البداء بأنّ الله سبحانه و تعالىٰ يتحول من عزم إلى عزم بسبب حصول العلم بشيء أو مصلحة بعد ما لم يكن حاصلاً من قبل -و غير خفي أنّ البداء بهذا المعنىٰ مستحيل في حق الله سبحانه و تعالىٰ- و الشيعة بُراء من هذا الاعتقاد و من إفترىٰ ذلك عليهم فقد افترى كذباً عظيماً.

و إنّا إذا أمعنا النظر لوجدنا أنّ الإختلاف ليس إلاّ نزاعاً لفظياً فقط و أنّ المثبتين يثبتون أمراً و المنكرين ينكرون أمراً آخر.

فإنّ البداء يُستعمل في الأدب العربي لمعان شتىٰ -ولكن الأصل فيه من حيث الوضع اللغوي هو «**الظهور**»- و الظهور يمكن أن ينسب إلى الله سبحانه و الى العباد.

فكل من حمل البداء على ظهور حال الشيء لله تعالىٰ بعد ما كان مخفيّاً عليه فقد أنكر هذا الإعتقاد لأنه يستلزم القول بجهل الله

سبحانه و تعالىٰ و ندمه ـتعالىٰ ربنا عن ذلك علواً كبيراً ـ و لا يقول أحد من المسلمين بذلك ـ و لذلك نرى بعض علماء الشيعة ينكرون البداء مطلقاً لأنهم يفسرونه بهذا المعنىٰ.

و الآن نلفت النظر الى الجهة الثانية أي نسبة الظهور الى العبد. و يراد منه ظهور أمر للعبد بخلاف ما كان ينتظره. فالظهور بهذا المعنى يتعلق بعلم العبد و لا علاقة له بعلم الله سبحانه ـو الآية الكريمة في سورة الزمر تفسر البداء بهذا المعنى:

«و بدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون».[1]

و يفسرها شيخنا الأجل المفيد ـعليه‌الرحمة ـ هكذا:

«أي ظهر لهم (للعباد) من فعله (فعل الله) بهم ما لم يكن في إحتسابهم».[2]

و إعتقاد الشيعة بالبداء مبني على هذا المعنىٰ و يمكن دعوىٰ إجماع الأمّة على صحته، و معناه أنّ البداء هو ظهور أمر غير مترقب أو حدوث شيء لم يكن في حُسبان العبد حدوثه و وقوعه فالله سبحانه و تعالىٰ يمحو ما يشاء و يثبت في الأُمور التكوينية كما أنّه يمحو ما يشاء و يثبت في الأُمور التشريعية فانّه تعالىٰ كل يوم هو في شأن.

و شيخنا المفيد ـرضوان الله عليه ـ يقول في **أوائل المقالات:**

«أقول في معنى البداء ما يقول المسلمون بأجمعهم في النسخ و أمثاله من الإفقار بعد الإغناء و الإمراض بعد الإعفاء و الإماتة بعد

---

١. سورة الزمر آية ٤٧.

٢. المسائل العكبرية، للمفيد(ره).

الإحياء و ما يذهب إليه أهل العدل خاصة من الزيادة في الآجال و الأرزاق و النقصان منها بالأعمال.»[١]

و أمّا إطلاق لفظ البداء على هذا الإعتقاد فمبني على السمع كما يبينه شيخنا المفيد‌ﷺ في نفس الكتاب:

«فأمّا إطلاق لفظ البداء فإنّما صرت إليه بالسمع الوارد عن الوسائط بين العباد و بين الله عزّوجلّ -و لو لم يرد به سمع أعلم صحّته ما إستجزت إطلاقه - كما أنّه لو لم يرد عليّ سمع بأنّ الله تعالىٰ يغضب و يرضىٰ و يحب و يعجب لما أطلقت ذلك عليه سبحانه -و لكنّه لمّا جاء السمع به صرت إليه على المعاني التي لاتأباها العقول- و ليس بيني و بين كافة المسلمين في هذا الباب خلاف - و إنّما خالف من خالفهم في اللفظ دون ما سواه و قد أوضحت من علّتي في إطلاقه بما يقصر معه الكلام.»[٢]

و تفصيل القول في هذا الموضوع يتوقف على توضيحات:

الف - بعض العقائد غير الإسلامية حول إرادة الله و قدرته.

ب - العقيدة الصحيحة الإسلامية.

ج - النسخ في التشريع و البداء في التكوين.

د - اللوح المحفوظ و لوح المحو و الإثبات.

هـ - ما هو المراد من «بدا لله»؟

و - بعض أمثلة البداء من القرآن.

---

١. أوائل المقالات للمفيد(ره)، ص ٩٢.

٢. أوائل المقالات للمفيد(ره)، ص ٩٢.

أـ بعض العقائد غير الإسلامية حول إرادة الله و قدرته

١ ـ إنّ اليهود يعتقدون أنّ الله سبحانه و تعالىٰ قد فرغ من الأمر فلا يحدث شيئاً غير ما قدّره في التقدير الأوّل، والله تعالىٰ حسب عقيدتهم لا يقدر على تغيير شيء من ذلك ـ ولذا لا يقولون بنسخ الشرائع ـ و إلى هذا الإعتقاد تشير الآية الكريمة في سورة المائدة: **«و قالت اليهود يد الله مغلولة غلّت أيديهم و لعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء.»**[1]

٢ ـ و فلاسفة اليونان كانوا مصرّين على نظريتهم أنّ الواحد لايصدر منه إلاّ الواحد و لذلك قالوا إنّ واجب الوجود خلق العقل الأول فقط، و العقل الأول بسبب كونه ذا جهتين خلق العقل الثاني و الفلك والعقل الثاني خلق العقل الثالث و الفلك الثاني وهلم جرّاً حتىٰ وصلوا إلى العقل التاسع الذي خلق العقل العاشر و الفلك التاسع، و العقل العاشر خلق باقي الموجودات.

فالله سبحانه و تعالىٰ عندهم معطل الآن فانّه لا يستطيع أن يُنبِّه واحداً من تلك العقول على خطاياه لأنّ هذا التنبيه أيضاً يكون فعلاً ثانياً و هذا محال في حق الواحد المطلق حسب مزعوماتهم.

٣ـ أصحاب الكمون و الظهور كانوا يعتقدون أنّ الله سبحانه و تعالىٰ خلق جميع الأشياء في آنٍ واحد و لا تقدم هناك و لا تأخر في خلق آدم و خلق عيسىٰ عليه السلام وكل ما نراه من التقدم و التأخر فإنّما هو

---

١. سورة المائدة آية ٦٤.

في الظهور فقط لا في أصل الخلقة.

٤ـ و النظّام من المعتزلة تابع أصحاب الكمون و الظهور ولكنّه أصلحَهُ حسب زَعمه فقال: إنّ هناك حلقة وسط بين العدم والوجود و سماه الثبوت و مراده أنّ الله تعالىٰ قد أثبت كل شيء دفعة واحدة في الأزل، و التقدم و التأخر إنّما يحصل في ظهور شيء بعد شيء على منصة الوجود.

فهؤلاء كلّهم قد عطّلوا الله سبحانه عن كل عمل في هذه الأيام لأنّه قد فرغ من شؤون الخلق كافة يوم الأزل وقد جف القلم بما هو كائن.

ب ـ العقيدة الصحيحة الإسلامية

أمّا الإسلام فشدَّد النكير على تلك النظريات الفاسدة و التي تجعل الله معطلاً غير قادر على شيء ـ فلا نسخ هنا لك و لا تغير و لا تبديل حسب مزعوماتهم ـ و التي تقول إنّ الدعاء و الصدقة و بِر الوالدين و صِلة الرحم و إكرام الجار مثلاً لا علاقة لها بالسعادة و الشقاوة.

و لكن القرآن يقول: **«ألا له الخلق و الأمر»**[1] و يقول: **«يسأله من في السمٰوات و الأرض كلَّ يومٍ هو في شأن»**[2] و يقول: **«يمحوا الله ما يشاء و يثبت و عنده أُم الكتاب»**[3] و يقول: **«و ما يُعمّر من مُعَمّر**

١. سورة الأعراف آية ٥٤.
٢. سورة الرحمٰن آية ٢٩.
٣. سورة الرعد آية ٣٩.

ولايَنقصُ من عمره إلاّ في كتاب»[1] والله يبشر عباده فيقول: **«فإنّي قريبٌ أُجيب دعوة الداعِ إذا دعان»**[2] و يقول: **«أُدعوني أستجب لكم»**[3].

فالكتاب و السنّة و العقل كلها تدل على أنّ الله سبحانه و تعالىٰ قادر قاهر فاعل بالإرادة و هو يحيي و يميت و يبسط الرزق و يقدر و لا تتحرك ورقة في شجرة إلاّ بإذنه و مشيئته، فجميع تغيرات العالم في التكوين و التشريع تحدث بإرادته و قدرته و مشيئته.

و نحن نعلم أنّه سبحانه و تعالىٰ قد أجرى في العالم سلسلة العلل و المعلولات و الأسباب و المسببات ـو تلك العلل و الأسباب قد تكون مادية و أُخرى غير مادية مثل الدعاء و الصدقة و أمثالها من أعمال الخير كما ذُكِرَ آنفاً. فإذا إكتملت الشرائط و ظهرت العلة التامة فهنالك يوجد المعلول بإذن الله تعالىٰ و إلاّ فيُؤَخّر إلى وقت آخر معلوم ـ و لكنّا لا نقول أنّ الله سبحانه و تعالىٰ كان لا يعلم متى يوجد ذلك الشيء و لا أنّ كل ذلك كان موقوفاً على أُمور كانت مجهولة لله ـحاشاه عن ذلك ـ بل الله سبحانه و تعالىٰ كان يعلم ـ حتىٰ من قبل خلق العالم ـ هل تكتمل الشرائط و هل تجتمع العلة التامة في الوقت الفلاني أم لا؟ فهذا التغير أو التقدم و التأخر لا يحدث في علم الله سبحانه بل في علم الملائكة الموكلين بتدبير العالم و في بعض الأحيان في علم الحجج عليهم السلام الذين كان الله تعالىٰ أخبرهم بتلك الأُمور سواء كان الخبر مقروناً بالشروط أم لا.

---

١. سورة فاطر آية ١١.

٢. سورة البقرة آية ١٨٦.

٣. سورة غافر آية ٦٠.

و أحب أن أُبين ما أُريد أنأقوله مقتبساً من كلام شيخنا المبجّل المفيد -رضوان الله عليه- حيث يقول:

«و قد يكون الشيء مكتوباً بشرط فيتغير الحال فيه -قال الله تعالىٰ: **«ثم قضىٰ أجلاً و أجل مسمّىٰ عنده»** فتبين أنّ الآجال على ضربين: ضرب منها مُشترط يصح فيه الزيادة و النقصان. ألا ترىٰ إلى قوله تعالىٰ: **«و ما يُعمّرُ من مُعمّر و لا ينقص من عمره إلاّ في كتاب»** و قوله تعالىٰ: **«ولو أنّ أهل القرىٰ آمنوا وإتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء و الأرض»** فبيّن أنّ آجالهم كانت مشترطة في الإمتداد بالبِر، و الإنقطاع بالفسوق. و قال تعالىٰ فيما أخبر به عن نوح عليه السلام في خطابه لقومه: **«إستغفروا ربكم إنّه كان غفاراً يُرسلُ السماءَ عليكم مدراراً...»** فإشترط لهم في مد الأجل و سبوغ النعم الإستغفار.

فلما لم يفعلوه قطع آجالهم و بتر أعمارهم و إستأصلهم بالعذاب. فالبداء من الله تعالىٰ يختص ما كان مشروطاً في التقدير و ليس هو الإنتقال من عزيمة إلى عزيمة و لا من تعقب الرأي -تعالىٰ الله عما يقول المبطلون علوا كبيراً-.»[١]

ج- النسخ في التشريع و البداء في التكوين

ينبغي أولاً أن نلفت النظر إلى أن النسخ في الحقيقة نوع من البداء كما يُرىٰ بالوضوح في كتب الصدوق -عليه الرحمة- كالإعتقادات وكتاب التوحيد و لكنّا نستعمل النسخ هنا كقسيم البداء

---

١. تصحيح الإعتقاد للمفيد (ره).

تبعاً للمتأخرين -رضوان الله عليهم- و آثرنا هذا الإصطلاح إحترازاً عن خلط المبحث فإنّ النسخ متفق عليه بين المسلمين بخلاف البداء- والطريف أنّ اليهود و الهندوس يُوردون على النسخ نفس الإعتراضات التي تورد على البداء من قِبَل إخواننا أهل السنّة.

فالأحسن أن ننظر في قول اليهود و غيرهم على النسخ قبل: الكلام في البداء.

أمّا النسخ فالله سبحانه يُنزل شريعة على نبي لهداية أُمّته و تلك الشريعة تُناسب مستوىٰ الإرتقاء الذهني و الوضع الإجتماعي الذي تمتاز به تلك الأُمّة وقتئذٍ، و الناس يكلّفون بإتباع تلك الشريعة الإلٰهية لإحراز سعادتهم الدنيوية و النجاح في الآخرة بالفوز بنعيم الأبد.

والوقت يمر والقرون تمضي والأُمّة تتقدم في الفكر و ترتقي في المجتمع فينسخ الله تلك الشريعة بإرسال رسول جديد بشريعة جديدة لإرشاد وقيادة النوع الإنساني إلى أهداف عالية و منازل سامية كما يقول الله سبحانه: **«ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها.»** [1]

أمّا اليهود و الهندوس فيُشنّعون على المسلمين بسبب هذا القول و يقولون: هل كان الله نسي شيئاً في الشريعة الأُولى أو أخطأ فيها فإحتاج إلى إكمالها أو إصلاحها بإرسال شريعة جديدة؟

والحق انّ الله سبحانه لا يسهو و لا ينسى و لا يخطيء و لا يندم، ولكن الشريعة الأُولىٰ كانت متناسبة بحال الأُمّة في ذلك الوقت الخاص و البيئة الخاصة و حينما تغيرت الأوضاع فإنتهت فائدتها

---

١. سورة البقرة آية ١٠٦.

و طالب النوع الإنساني بلسان الحال شريعة أُخرىٰ كاملة لهداية الناس إلى الملأ الأعلىٰ.

فعلىٰ سبيل المثال: الخياط يُخيط لباساً صغيراً لطفل صغير عُمرهُ سنتان و هو يعلم حتىٰ من قبل الخياطة أنّ الطفل سيحتاج بعد مدة قصيرة إلى لباس آخر يناسب جسمه آنذاك لأنه سينموا و يكبر حتىٰ لايمكن له الإستفادة من هذا اللباس. و أيضاً ليس من المعقول أن نلوم الخياط لماذا لم يُصلح من الأول لباساً كبيراً لذلك الطفل ليمكن له الإستفادة منه حتىٰ بعد بلوغه عشرين سنة من عمره لأننا نعلم أنّ مقياس اللباس لايزال يتغير كل سنة حتىٰ يبلغ الطفل أشده و بعد ذلك يستمر بمقياس خاص يناسب جسمه إلى باقي عمره.

و هكذا يكون النسخ في الأُمور التشريعية، وكذلك يقضي الله و يقدر بالتغير و التبدل في الأُمور التكوينية فيحيي زيداً ثم يُميته و يُفقِر خالداً ثم يُغنيه، و هذا القضاء يكون محتوماً في بعض الأوقات و في آونة أُخرى يكون معلقاً على شرائط، و على أي حال فهذا التغير في حكم الله تعالىٰ في الموارد يُسمّىٰ بالبداء، والله سبحانه و تعالىٰ عالم بهذه التغيرات قبل خلق زيد و خالد بل من قبل خلق الخلق كافة، كما يقول شيخنا المفيد‌رحمه‌الله:

«ليس البداء من‌الله تعالىٰ تعقّب رأي و لا إستدراك فائت و لا إنتقال من تدبير إلى تدبير آخر بحدوث علم بما لم يكن في‌المعلوم»[1] فمجمل القول هٰهنا أنّ البداء في التكوين كالنسخ في التشريع وكلاهما

---

١. المسائل العكبرية للمفيد(ره).

يدلان على علم الله السابق و قدرته البالغة و حكمته الشاملة و إرادته النافذة و إختياره التام الكامل.

و لذا قال أبوعبد الله عليه السلام:

«ما بدالله في شيء إلاّ كان في علمه قبل أن يبدو له.»[١]

و قال أيضاً: «إن الله لم يبدله من جهل.»[٢]

د ـ اللوح المحفوظ و لوح المحو و الإثبات

و لمزيد التوضيح نقول إنّ لله سبحانه و تعالىٰ لوحين: اللوح المحفوظ الذي لايطرأ عليه تغير أصلاً و هذا التعبير يشير إلى علم الله سبحانه و تعالىٰ، و لوح المحو و الإثبات و هذا يشير إلى علم الملائكة الموكلين بتدبير العالم و علم الأنبياء و الأئمة عليهم السلام فاللوحان في الحقيقة مرتبتان أو نوعان من العلم، و هذا التعبير أخذناه من صدر المتألهين والمجلسي ـعليهما رحمة الله تعالىٰـ و هم إستنبطوها من قول الله سبحانه:

«يمحوا الله ما يشاء و يثبت و عنده أُمّ الكتاب.»[٣]

فهناك لوح سَمّوه بلوح المحو و الإثبات و هناك أُم الكتاب أي أصل الكتاب و لا يكون فيه محو و لا إثبات و لذلك عبّرو عنه باللوح المحفوظ.

---

١. الكافي، كتاب التوحيد باب البداء.

٢. نفس المصدر.

٣. سورة الرعد آية ٣٩.

ولكن بعض العلماء المتأخرين لا يقبلون هذا التعبير لأنّ اللوح و القلم هما ملكان حسب الروايات «كما قال الصدوق ـعليه الرحمة ـ في إعتقاداته»[١] و هذا الإعتراض غير وارد على نفس التوجيه بل إلى التسمية فقط، فإن كان إطلاق لفظ «اللوح» على العلم غير مرضي فيمكن أن نقول «أُم الكتاب» (كما هو مذكور في الآية) و «كتاب المحو و الإثبات» الذي يشير إليه القرآن في هذه الآية و آية أُخرى حيث يقول:

«و ما يُعمّر من مُعمّر و لا ينقص من عمره إلاّ في كتاب.»[٢]

و شيخنا المفيد ـرضوان الله تعالىٰ عليه ـ أيضاً أشار إليه بلفظ الكتابة حيث قال:

«و قد يكون الشيء مكتوباً بشرط فيتغير الحال فيه.»[٣]

على أي حال فنقول على سبيل المثال: إنّ الله تعالىٰ أخبر ملك‌الموت أنّ عُمْر زيد خمسون سنة أي مقتضىٰ الحكمة أن يكون عُمْرَه كذا، فإذا وصل الرحم يُزاد في عُمْرَه عشر سنوات وإن قطعها ينقص من عُمْرِه عشر سنوات، والله سبحانه يعلم من قبل خلق الخلق أنّ زيداً سيصل رَحِمَه و يعيش إلى ستين سنة، ولكن ملك‌الموت لا يعلم، لأنّ علمه مشروط، فعلم الله هو اللوح المحفوظ الذي لا تغير فيه ولا تبدل وعلم ملك الموت هو لوح المحو والإثبات

---

١. الإعتقادات (باب الإعتقاد في اللوح» للصدوق (ره).

٢. سورة فاطر آية ١١.

٣. تصحيح الإعتقاد للمفيد (ره).

«و ما يُعمَّر من مُعمّر و لا ينقص من عُمْره إلاّ في كتاب.»[١]

«قضىٰ أجلاً و أجل مسمّى عنده.»[٢]

فحينما بلغ زيد خمسين سنة و أخبر الله سبحانه مَلك الموت أنّه سَيُعمَّر إلى ستين سنة لأنّه يصل رَحِمَهُ فيبدو للملك من قضاء الله المحتوم ما لم يكن يعلمه و لم يكن يترقبه، و هذا هو البداء، و هذا البداء و الظهور يكون في علم المَلك لا في علم الله تعالىٰ.

و مقتضىٰ هذا البيان أنّ الله سبحانه في بعض الأحيان يُخبر الملائكة و الحجج عليهم السلام بأمر محتوم و أحياناً يُعطَون علماً غير محتوم و الذي يكون معلّقاً على شرط، فَهُمْ في كل آن متوجهون إلى الله تعالىٰ للزيادة في علومهم و معارفهم و لا يحسبون لآنٍ واحد أنّهم مستغنون عن هداية الله سبحانه و إرشاده فالله تعالىٰ أمر حبيبه خاتم النبيين صلى الله عليه وآله بهذا الدعاء:

«و قل ربِّ زدني علماً.»[٣]

و أعطاه العلم بكل ما كان و ما يكون إلى يوم القيامة كما روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال:

«إنّ الله عزّوجلّ أخبر محمّداً صلى الله عليه وآله بما كان منذ كانت الدنيا و بما يكون إلى إنقضاء الدنيا و أَخبرِ بالمحتوم من ذلك و إستثنىٰ عليه فيما سواه.»[٤]

---

١. سورة فاطر آية ١١.
٢. سورة الأنعام آية ٢.
٣. سورة طهٰ آية ١١٤.
٤. الكافي كتاب التوحيد، باب البداء.

فهذه الرواية تدل على أنّ النبي صلى الله عليه وآله كان عالماً بكل ما كان و ما هو كائن إلى يوم القيامة وكان يعلم المحتوم منها و غير المحتوم الذي عبّر عنه الإمام عليه السلام بقوله: «و إستثنىٰ عليه فيما سواه.» و روايات كثيرة تدل على أنّ الأئمة عليهم السلام أيضاً كانوا عالمين بها بتعليم النبي صلى الله عليه وآله. ونعتقد أنّ النبي و الأئمة -صوات الله عليهم أجمعين- أُخبِروا بالمحتوم على سبيل القطع و البت و أُخبِروا بما سواه على سبيل الإحتمال.

و لذا قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لولا آية في كتاب الله لأخبرتكم بما كان و بما يكون و بما هو كائن إلى يوم القيامة، و هي هذه الآية: **«يمحوا الله ما يشاء وَ يُثبت و عنده اُم الكتاب.»**[1]

و مثله مروي عن الإمام زين العابدين عليه السلام.[2]

هـ - ما هو المراد من «بدا لله»؟

لقد مرَّ أنّ البداء معناه الظهور و لذا قال سبحانه و تعالىٰ: **«و بدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون.»**

ولكن الروايات لا تقول: «بدا من الله» بل جُلّها تقول: «بدا لله»، فما هو المراد من هذا التعبير؟

وفسر علماؤنا الأبرار -رضوان الله عليهم- بعبارات شتىٰ وأحسنها وأكملها ما قال معلم الأُمّة شيخنا المفيد رحمه الله في كتابه تصحيح الإعتقاد و هو كما يلي:

---

١. بحارالأنوار (الطبعة الجديدة)، ج ٤، ص ٩٧.

٢. نفس المصدر، ص ١١٨.

«قول الإمامية بالبداء طريقه السمع دون العقل وقد جاءت الأخبار به عن أئمة الهدىٰ عليهم السلام و الأصل في البداء هو الظهور، قال الله تعالىٰ: **«وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون»** يعني به: ظهر لهم من أفعال الله تعالىٰ بهم ما لم يكن في حسبانهم و تقديرهم، وقال: **«و بدا لهم سيئات ما كسبوا و حاق بهم»** يعني ظهر لهم جزاء كسبهم و بان لهم ذلك، وتقول العرب: قد بدا لفلان عمل حسن، وبدا له كلام فصيح، كما يقولون: بدا من فلان كذا فيجعلون اللام قائمة مقامه، فالمعنىٰ في قول الإمامية «بدا لله في كذا أي ظهر له فيه، و معنىٰ ظهر له أي ظهر منه.»[1]

و إذا وصل الكلام إلى معنىٰ كلمة **«بدا لِلّه»** فأرى أن ننظر في الحديث الذي ذكره و فسره الشيخ الصدوق رحمه الله في إعتقاداته فإنّه يقول:

«أمّا قول الصادق عليه السلام ما بدا لِلّه تعالىٰ في شيء كما بدا له في إسماعيل إبني» فإنّه يقول: ما ظهر لله سبحانه و تعالىٰ أمر في شيء كما ظهر له في إبني إسماعيل إذ إخترمه قبلي ليعلم أنّه ليس بإمام بعدي والله أعلم.[2]

فالصدوق -عليه الرحمة- أيضاً يقول هٰهنا إنّ المراد من بدا لِلّه هو **«بدا أمرٌ لِلّه»** أي ظهر أمر الله، و هذا قريب مما قاله تلميذه المفيد -عليه الرحمة- ولقائل أن يقول إنّ أسلوب المفيد -عليه الرحمة- أروع وأبدع وإنّه يلقي خطابه بأحسن طريق حتى لا يبقىٰ غموض في مراده.

---

١. نفس المصدر، ص ١١٨.

٢. الإعتقادات (باب الإعتقاد في البداء) للصدوق (ره) كتاب التوحيد للصدوق (و قال فيه: إنّ الرواية فيها نظر).

و لشيخنا المبجّل المفيد رواية أُخرىٰ تدل على المراد من هذه الرواية أيضاً و هي كما يلي:

«أخبرني أبو القاسم عن محمد بن يعقوب عن علي بن محمد عن إسحاق بن محمد عن أبي هاشم الجعفري قال: كنت عند أبي الحسن عليه السلام بعد ما مضى إبنه أبو جعفر، و إنّي لأفكر في نفسي أُريد أن أقول: كأنّهما أعني أبا جعفر و أبا محمد في هذا الوقت كأبي الحسن موسى عليه السلام و إسماعيل بن جعفر بن محمد عليه السلام و إنّ قصتهما كقصّتهما، فأقبل عليَّ أبو الحسن عليه السلام قبل أن أنطق فقال: نعم يا أبا هاشم! بدا لِلّه في أبي محمد بعد أبي جعفر ما لم يكن يُعرف له كما بدا في موسىٰ بعد مضي إسماعيل ما كشف به عن حاله و هو كما حدَّثَتك نفسك وإن كره المبطلون، أبو محمد إبني الخلف من بعدي، عنده علم ما يُحتاج إليه و معه آلة الإمامة.»[1]

فهذه الرواية أيضاً تُفسر البداء بظهور ما لم يكن يُعرَف لأبي محمد الحسن العسكري عليه السلام قبل ذلك.

و لا بأس أن أذكر هٰهنا شيئاً آخر -بأدنىٰ مناسبة- حول هذه الرواية الصادقية.

إني كنت رأيت في الكتب الإنگليزية لِ«ايوانوف» (Ivanov) (و التي تتعلق بالفرقة الإسماعيلية) حكاية تشبه الأساطير، و لم أجدها في مجاميع أحاديث أصحابنا إلاّ أنّه توجد الإشارة إليها في كتب الجدل و الكلام، و هي هذه:

---

١. الإرشاد للمفيد (ره)، ج ٢، ص ٣٣٧.

«إنّ الإمام جعفراً الصادقعليه السلام كان قد نص على إسماعيل ليكون الإمام بعده، ثم رأوا إسماعيل يشرب الخمر، فبدَّل الصادقعليه السلام النص و حوّله إلى موسىٰ الكاظمعليه السلام، فسُئِل عن ذلك فقال: بدا لِله في إسماعيل.»

وفرقة من الإسماعيلية كانوا يعتمدون على هذه الحكاية لإثبات النص على إسماعيل و يدَّعون أنّ تبديل النص كان لتمويه الأعداء.

وكذلك كانت هناك فرقة إنقرضت والذين كانوا يعتقدون بمقتضىٰ هذه الحكاية أنّ النص كان أوّلاً لإسماعيل ثم تحوَّل إلى موسىٰ الكاظمعليه السلام و لقد أشار إليها المحقق الطوسيرحمه الله في نقد المحصل و لكنّه رحمه الله وقع في الإشتباه حينما نسب هذه «الرواية» إلى الشيعة بدون تعيين الفرقة.[1]

و في هذا السياق يمكننا أن ندرك مؤدّىٰ إفادات شيخنا المفيد -عليه الرحمة- في جواب الإسماعيلية و تفنيد قول تلك الفرقة المنقرضة:

١- فإنّه سُئل مرة عن قول الصادقعليه السلام: ما بدا لِله في شيء كما بدا له في إسماعيل، فقال: هل يبدو الله شيئاً ينقضه قبل تمامه؟[2]

أي هل يُعيّن الله إماماً ثم يُميته أو ينسخ النص عليه قبل أوان إمامته؟

٢- و أوضح مرة معنىٰ الرواية الصادقية في هذه الألفاظ: «يعني

---

١. بحارالأنوار، ج ٤، ص ١٢٣.

٢. المسائل العكبرية للمفيد (ره).

ما ظهر له تعالىٰ فِعلٌ في أحد من أهل البيت عليهم السلام ما ظهر له في إسماعيل و ذلك أنّه كان الخوف عليه من القتل مستنداً و الظن به غالباً فصرف الله عنه ذلك بدعاء الصادق عليه السلام و مناجاته الله.

و بهذا جاء الأثر عن الرضا علي بن موسىٰ عليهما السلام و ليس الأمر في هذا الخبر على ما ظنه قوم من الشيعة في أنّ النص قد إستقر في إسماعيل فقبضه الله إليه و جعل الإمامة من بعده في موسىٰ عليه السلام و قد جاءت الرواية بضد ذلك عن أئمة آل الرسول صلى الله عليه وآله فروي أنهم قالوا: «مهما بدا لِله في شيء فإنّه لايبدو له في نقل نبي عن نبوّته و لا إمام عن إمامته و لا مؤمن قد أخذ عهده بالإيمان عن إيمانه.»[1]

٣- «و على ذلك إجماع فقهاء الإمامية و معهم فيه أثر عنهم عليهم السلام أنّهم قالوا: «مهما بدا لِله في شيء فلا يبدو له في نقل نبي عن نبوّته و لا إمام عن إمامته و لا مؤمن قد أخذ عهده بالإيمان عن إيمانه، و إذا كان الأمر على ما ذكرناه فقد بطل أيضاً هذا الفضل الذي إعتمدوه و جعلوه دلالة على نص أبي عبد الله عليه السلام على إسماعيل.»[2]

و- بعض أمثلة البداء من القرآن

و الآن ينبغي التوجه إلى تعريف البداء المتقدم، و مؤداه أنّ البداء لا يطلق على كل تغير في التكوين بل على ظهور أمر غيرمترقب الذي لم يكن بحسبان العبد حدوثه، كما يقول شيخنا المفيد رحمه الله: «و إنّما يوصف منها بالبداء ما لم يكن في الإحتساب ظهوره و لا في

---

١. نفس المصدر، ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥.

٢. الفصول المختارة للمفيد (ره)، ص ٢٥١.

غالب الظن وقوعه»... فهو خاص فيما يظهر من الفعل الذي كان وقوعه يبعد في النظر دون المعتاد، إذ لو كان في كل واقع من أفعال الله تعالىٰ لكان الله تعالىٰ موصوفاً بالبداء في كل أفعاله و ذلك باطل بالإتفاق.»[١]

و إن أحببنا الإطلاع على المصداق الأكمل و المظهر الأتم للبداء فينبغي النظر إلى بعض أمثلته في كتاب الله العزيز:

١ ـ ذبح إسماعيل عليه السلام:

فلنذكر أوّلاً قصة ذبح إسماعيل عليه السلام، فالقرآن يقول: «**فلمّا بلغ معه السعي قال يا بني إنّي أرىٰ في المنام أنّي أذبحك فانظر ماذا ترىٰ قال يا أبتِ إفعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين * فلما أسلما و تله للجبين * و ناديناه أن يا إبراهيم * قد صدقت الرؤيا إنّا كذلك نجزي المحسنين * إنّ هذا لهو البلاء المبين * وفديناه بذبحٍ عظيم.**»[٢]

فالآيات و الروايات تدل على أنّ إبراهيم الخليل رأىٰ في المنام مرة بعد أُخرىٰ أنّه يذبح ولده إسماعيل عليهما السلام لمرضاة الله سبحانه و لأنّ رؤيا النبي تكون وحياً من الله فشَمَرَ ذيله لتنفيذ أمر مولاه و إستشارَ إسماعيل فأجابه بثبات القلب: «**يا أبتِ إفعل ما تُؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين * فلما أسلما وتله للجبين**» وإنحنىٰ إليه بالسكين قلب جبرئيل السكين و جاء بكبش و وضعه مكان إسماعيل، أمّا إبراهيم فهو لا يعلم شيئاً من هذه التحولات لأنه كان شدَّ عصابة على عينيه، فذبح بقوة العزم و صلابة الإيمان و إطمئنان القلب ما كان يحسب أنّه

---

١. تصحيح الاعتقاد للمفيد (ره).
٢. سورة الصافات آية ١٠٢ ـ ١٠٧.

إبنه الوحيد، ولكنّه لما حلَّ العصابة رأىٰ عند قدميه كبشاً مذبوحاً و وجد إسماعيل قائماً عنده صحيحاً سالماً دون أي جراحة وحينئذٍ نُودِيَ:«**يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنّا كذلك نجزي المحسنين.**»

و هذه الواقعة تشير إلى حقائق:

الاوّل: إنّ إبراهيمعليه السلام كان يرىٰ في المنام أنّه يذبح إسماعيل و طبعا رأىٰ كيفية ذبحه أيضاً فنحن نستيقن أنّه إتبع تلك الكيفية حينما أراد ذبح ولده لأنّ تلك الرؤيا كانت وحياً من ربّه و معناه أنّه حينما شد العصابة على عينيه فإنّما فعل ذلك اتباعاً لما رأىٰ نفسه يفعل في الرؤيا. و هذا يستلزم أنّه لم يكن رأىٰ في الرؤيا نتيجة عمله و المرحلة النهائية لإستسلامه و إنقياده، بسبب غموض عينيه في تلك المرحلة في الرؤيا أيضاً (و لعلّه لهذا السبب قال لولده: «**أنّي أذبحك**» و لم يقل «إنّي ذبحتك») فحينما ناداه الله سبحانه: «**أن يا إبراهيم قد صدّقت الرؤيا**» فإنّما كان هذا على سبيل الحقيقة لا المجاز و إنّ إبراهيم الخليل قد أنجز حقّاً كل ما كان رأىٰ يعمل في الرؤيا.

الثاني: وبهذا يتضح لماذا أمره الله سبحانه وتعالىٰ بواسطة الرؤيا ولم يرسل إليه مَلكاً أو لم يُلهمه بذبح ولده، لأنّ الوحي اللفظي كان مستلزماً أن يقال لإبراهيم:إذبح ولدك إسماعيل، ولكن المطلوب لم يكن ذبحه بل تهيّؤ إبراهيم الخليل للذبح فقط وكان الأمر بذلك للإمتحان والإبتلاء، فلمّا إستسلما لحكم الله فقد ظهرت مدارج إنقيادهما و تسليمهما لأمر الله: «وكذلك نجزي المحسنين * إنّ هذا لهو البلاء المبين.»

الثالث: إنّ الله عزّوجلّ لم يظهر علمه لإبراهيمعليه السلام و لم يشاهد إبراهيم المرحلة النهائية لسعيه في إسماعيل، لأنه كان منافياً لمصلحة

الإختبار و الإبتلاء و مضاداً لما كان المقصود من هذا الأمر أي إزدياد مراتب إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام.

ففي هذه الواقعة ستر الله المرحلة النهائية للعمل المطلوب و بهذا وقع البداء في علم إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام و ظهرت النتيجة بخلاف ما كانا يتوقعانها.

٢ـ إعطاء التوراة لموسىٰ عليه السلام:

و القصة الثانية تتعلق بموسى عليه السلام حينما دعاه ربه إلى الطور لإعطاء التوراة فأمره الله أن يصوم ثلاثين يوماً ثم يجيء إلى الطور و إستاك موسى عليه السلام في اليوم الثلاثين قبل ذهابه إلى الطور. فأمره الله سبحانه بصيام عشرة أيام أُخر و أن يجيء في اليوم الأربعين بدون إستياك. و يذكر القرآن هذه المواعدة في هذه الألفاظ: **«و واعدنا موسىٰ ثلاثين ليلة و أتممناها بعشر فتم ميقات ربّه أربعين ليلة.»**[1]

فالآية تقول صريحاً إنّ ميقات ربّه كان أربعين ليلة و مع ذلك أخبر الله سبحانه موسىٰ بذلك الميقات الإلهي في مرحلتين: فأوّلاً أمره بصيام ثلاثين يوماً ثم أتمه بعشر، ولكن الميقات في العلم الإلهي كان أربعين ليلة من أوّل الأمر، و لذا نرىٰ القرآن يستعمل إسلوبين لذكر الميقات فإذا نظر إلى موسىٰ عليه السلام و عِلمه فيعبّره في مرحلتين: **«ثلاثين ليلة و أتممناها بعشر»** و إذا نظر إلى علم الله عزّوجلّ فيقول: **«أربعين ليلة»** وكذلك يقول في سورة البقرة: **«و واعدنا موسىٰ أربعين ليلة ثم إتخذتم العجلَ من بعده و أنتم ظالمون.»**[2]

---

١. سورة الأعراف آية ١٤٢.

٢. سورة البقرة آية ٥١.

و هذه الآية تشير إلى المصلحة التي كانت ملحوظة في إخبار موسىٰ عليه السلام في مرحلتين كما يقول أبو جعفر عليه السلام: «إنّ موسىٰ لما خرج وافداً إلى ربّه واعدهم ثلاثين يوماً فلما زاد الله على الثلاثين عشراً قال قومه: أخلفنا موسىٰ فصنعوا ما صنعوا.»[1]

والله سبحانه و تعالىٰ يذكر هذه الواقعة في سورة طٰه هكذا:

«و ما أعجلك عن قومك يا موسىٰ * قال هم أُولآءِ على أثري وعجلت إليك ربِّ لترضىٰ * قال فإنّا قد فتنّا قومك من بعدك وأضلّهم السامري * فرجع موسىٰ إلى قومه غضبانَ أسفاً قال يا قوم أَلم يعدكم رَبُّكم وعداً حسناً أفطال عليكم العهدأم أردتم أن يحلَ عليكم غضبٌ من ربّكم فأخلفتم موعدي * قالوا ما أخلفنا موعدك بمَلكنا يا موسىٰ ولكنّا حُمّلنا أوزاراً من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقىٰ السامري * فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقالوا هذا إلٰهُكُم وإلٰه موسىٰ فنسي * أفلا يَرون ألاّ يرجع إليهم قولاً و لا يملك لهم ضرّاً و لا نفعاً.»[2]

فظهرت المصلحة لماذا لم يأمر الله عزّوجلّ موسى عليه السلام بصيام أربعين يوماً من أول الأمر لأنه لو كان كذلك لم يبق مجال لإبتلاء بني إسرائيل و إمتحان قلوبهم بالإيمان.

و هذه القصة ترشدنا إلى الحقائق التالية:

الأوّل: إنّ الله سبحانه وتعالىٰ في بعض الأحيان لا يظهر الملائكة و لا النفوس القدسية على علمه المكنون و قضائه الحتم في

---

١. بحارالأنوار، ج ٤، ص ١٣٢ ـ تفسير الميزان، ج ٨، ص ٢٦٦ نقلاً عن تفسير العياشي.
٢. سورة طٰه الآيات ٨٣ ـ ٨٩ و أُنظروا أيضاً سورة الأعراف الآيات ١٤٨ ـ ١٥٢.

أوّل وهلة، بل يُخبرهم بذلك في مراحل، و هذا يبتني على مصالح العباد كإمتحانهم و إبتلائهم أو عوناً على هدايتهم و غير ذلك.

الثاني: إنّ اُمّة موسىٰ عليه السلام إرتدت عن دين الحق و إتخذت عبادة العجل و أشركت لمّا تأخر موسىٰ عليه السلام عنهم لعشرة أيام فقط، مع أنّه كان حياً وكانوا ينتظرون رجوعه إليهم، فظهر أنّ ضلال الأُمّة و طغيانها و غوايتها في غيبة النبي أو بعد موته في أقصر مدة ليس بشيء غريب يتعجب منه.

الثالث: يظهر من آيات سورة طٰه أنّ موسىٰ عليه السلام لم يكن أخبرهم على سبيل القطع و الحتم أنّه سيرجع إليهم بعد ثلاثين يوماً البتة، فإنّه يقول: «**يا قوم ألم يعدكم ربّكم وعداً حسناً أفطالَ عليكم العهد... فأخلفتم موعدي**» لأنّه لو كان واعدهم أنّه سيأتي بالتوراة في اليوم الثلاثين قطعاً و حتماً لكان لهم أن يُجيبوا: نعم لقد طال علينا العهد و أنت أخلفت موعدنا فأخلفنا موعدك، فيعلم من هذا أنّ الأنبياء و الأئمة عليهم السلام حينما يُخبِرون الناس عن مثل هذه الأُمور الغير المحتومة فلا يُخبرونهم على سبيل البت و القطع بل على سبيل الإحتمال القوي كما دلت الآية المتقدمة أنّ موسىٰ عليه السلام كان واعد قومه أنّه يرجع إليهم بعد شهر واحد ولكن لا على سبيل القطع، ولذلك أفاد الشيخ الطوسي ـ عليه الرحمة ـ (كما نقلوه عنه) «أنّ الحجج عليهم السلام لم يُخبروا قط بشيء يقع فيه البداء على البت.»

٣ـ كشف العذاب عن قوم يونس عليه السلام

قال الله سبحانه و تعالىٰ:

«**فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلاّ قوم يونس لمّا آمنوا**

كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدّنيا و متّعناهم إلى حين.» [١]

و يظهر من الروايات التفسيرية أنّ النبي يونسﷺ أنذر قومه و هددهم بنزول العذاب في مدة ثلاثة أيام، ثم تركهم و خرج من بينهم و خرج معه صحابي له عابد ولكن صحابياً آخر الذي كان عالماً بقي فيما بينهم وكان هو بنفسه بين الخوف و الرجاء فبدأ توبيخهم و تهديدهم و قال لهم إنّ عذاب الله لآتٍ لا محالة إلاّ أن ينيبوا و يتوبوا إلى الله تعالىٰ و يؤمنوا به و بنبيّه يونسﷺ فآمَنوا بصميم قلوبهم و حسن إسلامهم و بدأوا بالتضرع و الإبتهال و الإستكانة لله تعالىٰ. فجاءت سحابة العذاب و إستقرت على رؤوسهم ثم كشفها الله عنهم كما تدل عليه الآية الكريمة.

و يُستَنبَط من هذه القصة أنّ النبي يونسﷺ كان توعدهم بنزول العذاب إن لم يؤمنوا لأنه لو كان أخبرهم بقضاء حتم لم يبق مجال لصاحبه أن يحثهم على الإسلام و يدعوهم إلى التوبة و الإنابة و التضرع و الإبتهال وكذلك لو كان هذا القضاء حتماً لم يكن لإيمانهم نفع و لا أثر و لكانوا من الهالكين.

ولكنّهم آمنوا فنجّاهم الله من العذاب، و لو لم يؤمنوا لنزل عليهم العذاب لا محالة، فظهر من هذا أنّ العذاب كان مشروطاً بعدم إيمانهم و لما فات الشرط فات المشروط، و بهذا وقع البداء في علم يونسﷺ (لأنه كان لا يظن أنّ قومه سيؤمنون) وقوم يونس آمنوا جميعاً.

فهذه من المصاديق الكاملة للبداء بالمعنىٰ الذي أفادنا شيخنا

---

١. سورة يونس آية ٩٨.

المفيد و يُرىٰ فيها جهات عديدة لوقوع البداء.

و في الختام نذكر روايات أبدى فيها أبوعبد الله و الرضاعليهما السلام أهميّة هذه العقيدة:

١ـ عن هشام بن سالم عن أبيعبد الله عليه السلام أنه قال: ما عَظُمَ الله بمثل البداء.[١]

٢ـ عن مالك الجهني قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لو علم الناس ما في القول بالبداء من الأجر ما فتروا عن الكلام فيه.[٢]

٣ـ عن عمرو بن عثمان الجهني عن أبيعبد الله عليه السلام قال: إنّ الله لم يُبدله من جهل.[٣]

٤ـ عن الريان بن الصلت قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: ما بعث الله نبياً قط إلاّ بتحريم الخمر و أنَّ يُقِرَ لِله بالبداء.[٤]

و ينبغي أن نلفت النظر إلى أنّ إخواننا أهل السنّة أيضاً يعتقدون بهذه الأُمور ولكنّهم لايسمّونها البداء و لاحاجة لإطالة الكلام بنقل أقوالهم هُهنا، و من أراد الإطلاع فعليه بمراجعة تفاسير فخر الدين الرازي و الزمخشري و البيضاوي تحت الآية الكريمة: **«يمحوا الله ما يشاء و يثبت و عنده أُم الكتاب.»**

٤, / رجب المرجب / ١٤١٣ هـ.ق

و آخر دعوانا أن الحمد لله ربَ العالمين

١و٢. الكافي كتاب التوحيد باب البداء.

٣و٤. نفس المصدر.

التقية
في القرآن والسنة

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين و الصلٰوة و السلام على أشرف المرسلين و خاتمِ النبيين أحمد المجتبىٰ أبي القاسم محمد المصطفىٰ و آله الطيبين الطاهرين

أما بعد: فقد قال الله سبحانه تبارك و تعالىٰ:

«من كَفَر بالله بعد إيمانه الا من أُكره و قلبُه مُطمئنٌ بالإيمان ولكن من شَرَح بالكفرِ صدراً فعليهم غضبٌ من الله و لهم عذابٌ عظيم».[1]

تشير هذه الآية الكريمة الى الواقعة المعروفة للصحابي الجليل عمار بن ياسر رضي الله تعالىٰ عنهما حينما إضطر الى التفوه بكلمات باطلة كفرية للتخلص من أيدي مشركي قريش فإنهم قد قتلوا أباه و أُمه و أخاه بأفظع قتلة و أبشع تعذيب ثم طلبوا من عمار رضي الله عنه أن

---

١. سورة النحل آية ١٠٦.

يتبرأ من الإسلام و الا فليقتلونه أيضا تحت التعذيب -فالآية صريحة في جواز إعلان الكفر، بشرط أن يكون قلبه مطمئناً بالإيمان - للإحتفاظ على الحياة من أعداء الدين بإخفاء عقيدته الأصلية و الإقرار بالباطل - و هذا الإخفاء يُسمىٰ بالتقيه.

سؤال ١: ما هو معنىٰ التقية؟

جواب: أما معناه اللغوي فهو الإتقاء، الدفاع، الخوف و التقوىٰ (لان التقوىٰ يحفظ الإنسان من سخط الله تبارك و تعالىٰ).

المنجد: تَقٰى يتَّقِي تُقىً و تقاءً و تقيةً بمعنىٰ اِتّقىٰ...

اِتَّقى اِتِّقآءً صار تقياً.

الصراح: تقيةً تقاةً پرهيزگارى

سؤال ٢: و ماذا يُراد منه في الإصطلاح الإسلامي؟

جواب: و أما معناه الإصطلاحي فهو دفع الضرر المحتمل عن النفس أو العرض أو المال بإخفاء عقيدته أو دينه. سواء كان ذلك الضرر المحتمل عليه أو على نفس مؤمن آخر أو عِرضه أو ماله.[١]

سؤال ٣: هل هذه النظرية مختصة بالشيعة و التشيع؟ لأني أسمع بعض إخواننا من أهل السنة يعترضون على الشيعة و يشنعون عليهم بسبب إعتقادهم بجواز التقية.

جواب: كلا: فإن كل مجتمع و جميع الأديان و الطوائف يعملون بها وكانوا يلجأون تحت ستار التقية من حين الى آخر -وإن تدبرتم

---

١. الشاه عبد العزيز المحدث الدهلوى: التحفة الإثناعشريه، مطبع نَوَلْ كِشور لكهنو - (بدون تاريخ) الباب الحادي عشر، ص ٣٦٨.

في القرآن وكتب الأُمم السالفة لترون أمثلة كثيرة في التورٰية و الإنجيل للتقية وكذلك في سيرة النبي الخاتمﷺ و في سوانح أصحابه الكرام حتىٰ في حياة كثيرين من علماء أهل السنة.

سؤال ٤: فهل التقية مباح في الإسلام؟

جواب: نعم! لقد أجازها الله سبحانه و تعالىٰ في كتابه المحكم و العقل يؤكد على معقولية هذه الإباحة ـ والعالم الجليل السني المحدث الدهلوي الشاه عبد العزيز يكتب في التحفة الإثني عشرية ما تعريبه كما يلي:

«فليُعلم أن التقية ثابتة في الشريعة بدليل الآية القرآنية إلا أن تتقوا منهم تقٰىةً، و إلا من أُكره و قلبه مطمئن بالإيمان.»[1]

وكذلك يقول علامة أهل السنة وحيد الزمان خان الحيدر آبادي ما تعريبه كما يلي:

«التقية ثابتة من القرآن، إلا أن تتقوا منهم تقٰىة، ـو الجهال يحسبون أن التقية مختصة بالشيعة مع أنها جائزة في المذهب السني أيضاً في حين و آخر ـ.»[2]

سؤال ٥: هب أنك أخفيت عقيدتك و أظهرت ما هو مخالف للعقيدة الإسلامية ـ ألا تخرج من الإسلام أُوتوماتيكياً بمجرد هذا الإعلان و تكفر؟

جواب: الإيمان و الكفر من الأُمور التي تتعلق بالقلب في

---

١. نفس المصدر.

٢. وحيد الزمان خان، أنوار اللغة، طبع بنكلور، الجزء ٢٦، ص ٨٣.

الحقيقة و ليس لها علاقة لازمة بالتفوه باللسان - وكذا نرىٰ أن الله سبحانه و تعالىٰ وبّخَ أُولٰئك الأعراب الذين أسلموا و إدّعوا في الغرور أنهم مؤمنين. فقال سبحانه و تعالىٰ:

«قالت الأعراب آمنا قل لم تُؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يَدخُلِ الإيمانُ في قلوبكم وإن تطيعوا الله و رسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئاً إن الله غفور رحيم».[1]

فالحقيقة إن الإظهار باللسان لا أهمية له في ثبوت الإيمان أو الكفر فالإعتقاد بالقلب ربما يُقْبَل بدون الإقرار اللساني ولكن مجرد القول باللسان بدون الإعتقاد القلبي غير مقبول، و لقد ذم الله عزوجل هكذا الإقرار أشد التوبيخ حينما قال:

«اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد أنك لرسول الله والله يعلم إنك لَرَسولُه والله يشهد أن المنافقين لكٰذبون».[2]

وكلنا نعلم أن حياة المسلم ثمينة جداً و لها أهمية كبرى في نظر الإسلام -و يمكن أن نتفهم الأهمية التي تحوزها نفس واحدة في الإسلام اذا قرأنا هذه الآية:

«و من أحياها فكأنما أحيا الناسَ جميعاً».[3]

وكذلك يجب على المسلم أن لا يلقي نفسه أو نفس مسلم آخر الى التهلكة:

---

١. سورة الحجرات آية ١٣.

٢. سورة المنافقون آية ١.

٣. سورة المائدة آية ٣٢.

«و لا تُلقُوا بأيديكم الى التهلكة».[١]

و بناءً على هذا الأصل نرىٰ أن الإسلام حَرَّمَ الإنتحار حرمة باتة و جعله من أكبر الكبائر مثل القتل -و لذلك نرىٰ أن فقهاء الشيعة لا يجوّزون الجهاد الإبتدائي بغير الإذن من النبيﷺ أو الإمامعليه السلام أو نائبه الخاص - إلاّ أن يكون الجهاد دفاعاً عن المسلمين -و بناءً على هذا الأصل أُذِن للمسلم بالتفوه بالكلمات الكفرية لصيانة نفس مؤمنة.

سؤال ٦: سلَّمنا أنك حفظت و صُنتَ نفساً مؤمنة و لكنك في نفس الوقت إرتكبت معصية تُعد من أكبر الكبائر -أي الكذب- فمِن وجهة نظر الروحانية دنَّستَ نفسك بقذارة المعصية الكبيرة على أي حال - فَهَلاّ تكلمتَ صدقاً و تجنبتَ عن الكذب بدون المبالاة بماذا يفعل الكافرون بك بعد ذلك.

جواب: إذا تعارضت السيئتان و لا يمكن التهرب من كلتيهما و ترىٰ نفسك ملزماً أن ترتكب إحداهما - فالعقل يحكم أن تختار أقل القبيحين و ترتكب أدنىٰ الضررين لتجتنبَ الضرر الأعلىٰ و المراد أنه اذا رأيت نفسك في حالٍ لابد أن تُلِقي الضرر على إحدىٰ ممتلكاتك فالعقل يقضي أن تُلِقي الضرر على أدونها قيمة و بذلك تدفع البلاء عن الأغلىٰ ثمناً و لذا قال الإمام فخر الدين الرازي في تفسير ما جرىٰ بين النبي موسىٰ و الخضرعليهما السلام في سورة الكهف.

أن عند تعارض الضررين يجب تحمل الأدنىٰ لدفع الأ علىٰ

---

١. سورة البقرة آية ١٩٥.

فهذا هو الأصل المعتبر في المسائل الثلاثة.»[١]

و هناك أمثلة كثيرة في الشرع الإسلامي تؤكد إعتبار هذا الأصل -فالصلاة عمود الدين و لا يضاهيه أي عمل في الأهمية و الأولوية- فهب أنك مشغول في الصلاة وَ تُحسّ أن طفلاً صغيراً قد وقع في البئر و ليس هناك أحد سواك لإنقاذ الطفل من الهلكة -فالشرع ههنا يطالب منك أن تقطع صلاتك و تجتهد لإخراج الطفل من البئر و إنقاذه- و إن لم تفعل فصلاتك لا تُقبل و تكون مسئولاً عن حياة الطفل.

فالآن نفرض أن الكفار مجتمعون لقتل مسلم بريء -لا لأنه إرتكب جريمة بل بسبب أنه مسلم- فإختفى المسلم و أنت عارف بمحل إختفائه- والكفار يسألونك هل تعلم أين ذهب الرجل- فأنت ترىٰ نفسك بين محذورَين: إما أن تقول «لا أعلم» و بمجرد هذا القول تكون قد إقترفت سيئة و هي الكذب أو تقول «نعم، هو في المحل الفلاني» -و بذلك تعاون معهم على قتل المسلم البريء- و العقل يقضي (والشرع يؤيده) إن الكذب في هذه الحالة أهون بكثير من الصدق الذي ينجر الى قتل بريء.

و سائر فرق الإسلام مجتمعون على أن التقية في مثل هذه الصورة واجبة قطعاً - أُنظروا ماذا يقول الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم:

«و قد إتفق الفقهاء على أنه لو جاء ظالم يطلب إنساناً مختفياً ليقتله أو يطلب وديعة لإنسان ليأخذها غصباً وسأل عن ذلك وجب

---

١. الإمام الرازي، تفسير مفاتيح الغيب،الطبعة القديمة، ج ٥، ص ٧٤٦ ـ ٧٥٠.

لمن عَلِم ذلك إخفاؤه و إنكار العلم به و هذا كذب جائز بل واجب لكونه في دفع الظالم.»

و الإمام مسلم عقد في صحيحه باباً مستقلاً في هذا الموضوع بعنوان «باب تحريم الكذب و بيان الكذب المحلل»[1] و الإمام البخاري أيضاً عقد كتاب الإكراه في صحيحه كما سيأتي -و الآن نفرض أن الكفار أخذوا مسلماً بسبب إسلامه - و ذلك المسلم هو أنت بنفسك - و هم يُعطونك الخيار بين أمرين: إما أن تكفر أو تُقتل - فإن كان الإيمان متمكناً من قلبك و قلبك منوّر بالايمان فمجرد التلفظ بكلمات عديدة ضد الإسلام لا يضر بذلك النور و لا يُخرِجُه من قلبك - بل تكون تلك الكلمات كغطاء أسود لذلك النور الذي يتشعشع في قلبك و لا يكون لها أي قدرة لإطفاء ذلك النور - ولكنك إن لم تُخفِ ذلك النور تحت الستار فحياتك في معرض الخطر و مع قتلك يُطفأ نور الإيمان أيضاً و لا يبقى لك أي محل أو مجال لخدمة الإسلام والدين في الأيام الآتية.

المختصر: بالتكلم بكلمات تافهة ضد الإسلام تحافظ أنت على حياتك وكذلك على إيمانك و أما في الصورة الأُخرىٰ فحياتك تضيع و لا يبقىٰ لك أي مجال لخدمة الإسلام و دين الحق في المستقبل - و لذلك أمرك الله سبحانه و تعالىٰ أن تحافظ على نفسك العزيزة بالتفوه

---

١. الإمام النووي، شرح صحيح مسلم، ص ١٠٦، ١١٠، ٢٢٦، ٣٢٥ وأُنظروا أيضاً: العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، مصر، ج ٥، ص ٥٨١، ج ٦، ص ٣٥٢
الإمام الرازي، تفسير مفاتيح الغيب، ج ٦، ص ١٦٣.
وحيد الزمان خان، نزل الأبرار من فقه النبي المختار، ج ٣، ص ١٢٣.

ببعض الكلمات الباطلة حسبما يريد الكفار منك.

سؤال ٧: قل ما شئتَ ولكن الحقيقة الثابتة لا تتغير أن التقية هي النفاق، ليس إلاّ.

جواب: حاشا وكلا، شتان ما بينهما - لأن بين التقية و النفاق بُعد المشرقين بل الحقيقة أن التقية هي نقيض النفاق.

إنك اذا نظرت الى الإيمان و الكفر منضمين الى إعلانهما فترىٰ أن هناك أربع صور:

الاولى: الإعتقاد الصحيح بالإسلام في القلب وإعلانه صراحةً باللسان، و هذا هو الإيمان المبين.

الثانية: العقيدة المضادة للإسلام في القلب وإعلان تلك العقيدة الغير الإسلامية باللسان - و هذا هو الكفر الصريح.

و لا ريب أن الإيمان الصريح هو نقيض الكفر الصريح و هذان أمران متناقضان و لا يجتمعان في محل أبداً.

الثالثة: الإعتقاد المخالف للإسلام في القلب وإعلان الإسلام باللسان - و هذا هو النفاق.

الرابعة: العقيدة الصحيحة الإسلامية في القلب وإعلان الإعتقاد الغير الإسلامى باللسان - و هذا هو التقية.

و لا شك أن التقية نقيض النفاق - فالنفاق و التقية أمران متناقضان و لا يجتمعان في محل أبداً.

و لقد رأيت بعد هذا التحرير أن الامام فخر الدين الرازي أيضاً قد أوضح هذه المضادة بين التقية و النفاق في تفسيره.

«هذا اشارة الى أن الإعتبار بما في القلب فالمنافق الذي يظهر الإيمان و يضمر الكفر كافر و المؤمن المكره الذى يظهر الكفر و يضمر الايمان مؤمن والله أعلم بما في صدور العالمين.»[١]

سؤال ٨: إنك قلت أولاً إن الصحابة كانوا يعملون بالتقية، فهل يمكن أن تعطيني مثالاً واحداً؟

جواب: لقد أشرنا الى قضية الصحابي الجليل عمار بن ياسر رضي الله عنهما في أول الكلام، و القصّة على ما في التفاسير كما يلي:

أخرج عبد الرزاق و إبن سعد و إبن جرير و إبن أبي حاتم و إبن مردويه و الحاكم و صححه و البيهقي في الدلائل من طريق أبي عبيدة بن محمد بن عمار عن أبيه قال: أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتىٰ سبّ النبي ﷺ و ذكر آلهتهم بخير ثم تركوه ـ فلما أتىٰ رسول الله ﷺ قال: ما وراءك شيء؟ قال: شر ـ ما تُركْت حتىٰ نلت منك و ذكرتُ آلهتهم بخير ـ قال: كيف تجد قلبك؟ قال: مطمئن بالإيمان ـ قال: إن عادوا فعدْ ـ فنزلت: إلا من أُكره و قلبه مطمئن بالإيمان.[٢]

و في مجمع البيان عن إبن عباس و قتادة: أن الآية نزلت في جماعة أُكرهوا و هم عمار و ياسر أبوه و أمه سمية و صهيب و بلال

---

١. الامام فخر الدين الرازي، تفسير مفاتيح الغيب.

٢. الإمام السيوطي، الدر المنثور، مصر، ج ٤، ص ١٣٢، وأُنظروا أيضاً: العلامة جار الله الزمخشري: تفسير الكشاف، بيروت، ج ٢، ص ٤٣٠.
الإمام الرازي: تفسير مفاتيح الغيب.

و خبّاب. عُذِّبوا و قتل أبو عمار و اُمه و أعطاهم عمار بلسانه ما اُرادوا منه - ثم أخبر سبحانه رسولهﷺ فقال قوم: كَفَر عمار. فقالﷺ: ما وراءك؟ فقال: شر يا رسول الله ما تُرِكتُ حتىٰ نلتُ منك و ذكرت آلهتهم بخير - فجعل رسول اللهﷺ يمسح عينيه و يقول: إن عادوا فعُد لهم بما قلتَ. فنزلت الآية.[١]

سؤال ٩: هل هناك آية اُخرىٰ تُبيح التقية أو تشير إليها؟

جواب: نعم! فاقرأ هاتين الآيتين:

«لا يتخذ المؤمنون الكٰفرين أولياء من دون المؤمنين و من يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقيٰةً و يُحذركم الله نفسه و الى الله المصير * قل إن تُخفوا ما في صدوركم أو تُبدوه يَعلَمْهُ الله و يعلم ما في السمٰوات و ما في الأرض والله على كل شيءٍ قدير».[٢]

و العلة التي اُبيحت التقية بسببها مذكورة في الآية نفسها: قل إن تُخفوا ما في صدوركم أو تُبدوه يعلمه الله -ألا ترىٰ أن الله عزوجل نبّه المسلمين هٰهنا على أن الإيمان أمر قلبى نوراني و اذا كان الإيمان الموجود في أعماق القلب غير متزلزل فمجرد التفوه ببعض الكلمات غير المرضية لا يضره قطعاً والله سبحانه راضٍ عنكم لأنه يعلم حقيقة الأمر في باطن سريرتكم و لا فرق عنده بين أن تبدوا إيمانكم أو تخفوه لأنه يعلم أسراركم المخفية و حينما تخفون إيمانكم من الكفار فالله تعالىٰ يراه في نفس الوقت و يرضىٰ به.

---

١. أبوعلي الطبرسى: تفسير مجمع البيان.

٢. سورة آل عمران آية ٢٨-٢٩.

و نرىٰ في هذه الآية لفظ «تقيٰة» و التقية و التقاة كلاهما مترادفان كما قلنا في جواب السؤال الاول - و الإمام السيوطي يقول في تفسير هذه الآية:

و أخرج إبن جرير و إبن أبي حاتم من طريق العوفي عن إبن‌عباس في قوله: إلا أن تتقوا منهم تقيٰة: فالتقية باللسان - من حُمِل على أمر يتكلم به و هو معصية للّٰه فيتكلم به مخافة الناس و قلبه مطمئن بالإيمان فإن ذلك لا يضره إنما التقية باللسان... و أخرج عبد بن حميد عن الحسن قال: التقية جائزة الى يوم القيامة - و أخرج عبد عن أبي رجاء أنه كان يقرأ: إلا أن تتقوا منهم تقية - و أخرج عبد بن حميد عن قتادة أنه كان يقرأها: إلا أن تتقوا منهم تقية بالياء»[١]

و الإمام فخر الدين الرازي ذكر في تفسيره بعض الأحكام المتعلقه بالتقية تحت هذه الآية و نحن ننقل بعضها هٰهنا:

الحكم الثالث: للتقية أنها إنما تجوز فيما يتعلق بإظهار الموالاة و المحاداة و قد تجوز أيضاً فيما يتعلق بإظهار الدين فيما يرجع الى الغير كالقتل و الزنا و غصب الأموال و الشهادة بالزور و قذف المحصنات و إطلاع الكفار على عورات المسلمين فذلك غير جائز البتة.

الحكم الرابع: ظاهر الآية يدل على أن التقية إنما تحل مع الكفار الغالبين إلا أن مذهب الشافعي رضي الله عنه إن الحالة بين المسلمين اذا شاكلت الحالة بين المسلمين و المشركين حلت التقية

---

١. الإمام السيوطي: الدر المنثور، ج ٢، ص ١١ـ١٦.

محاماة على النفس.

الحكم الخامس: التقية جائزة لصون النفس - و هل هي جائزة لصون المال يحتمل أن يحكم فيها بالجواز لقوله ﷺ: «حرمة مال المسلم كحرمة دمه.» و لقوله ﷺ: «من قُتِلَ دون مالِهِ فهو شهيد» و لأن الحاجة الى المال شديدة - و الماء اذا بيع بالغبن سقط فرض الوضوء و جاز الإقتصار على التيمم دفعاً لذلك القدر من نقصان المال فكيف لا يجوز هٰهنا - والله أعلم.

الحكم السادس: قال مجاهد: هذا الحكم كان ثابتاً في أول الإسلام لأجل ضعف المؤمنين فأما بعد قوة دولة الإسلام فلا - و روىٰ عوف عن الحسن أنه قال: التقية جائزة للمؤمنين الى يوم القيامة - و هذا القول أولىٰ لأن دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الإمكان.»[١]

وكذلك الإمام البخاري عقد كتاباً كاملاً في صحيحه بعنوان «كتاب الإكراه» حول الإكراه و الإجبار و يقول في ضمنه:

«قول الله تعالىٰ: **إلا من أُكره و قلبه مطمئن بالإيمان**... و قال: **إلا أن تتقوا منهم تقٰيةً** و هي تقية... و قال الحسن: **التقية الى يوم القيامة**... و قال النبى ﷺ: الأعمال بالنية.»[٢]

و العالم الشيعى السيد الشريف الرضي (جامع نهج البلاغة) يكتب في ضمن تفسيره لهاتين الآيتين.[٣]

---

١. الإمام الرازي: تفسير مفاتيح الغيب، بيروت، الطبعة الثالثة، ج ٧، ص ١٣.

٢. الإمام البخاري، صحيح البخاري، مصر، ج ٩، ص ٢٣ ـ ٢٥.

٣. آل عمران آية ٢٨ ـ ٢٩.

ثم إستثنىٰ تعالىٰ حال التقية فقال (إلا أن تتقوا منهم تقاة) وقُرىء (تقية) وكلاهما يرجعان الى معنىٰ واحد ـ فكأنه سبحانه أباح في هذا الحال عند الخوف منهم إظهار موالاتهم و مما يلتهم قولاً باللسان لا عقداً بالجنان.»[١]

و علاوة على ذلك هناك أربع آيات في القرآن الحكيم تبيح تناول الغذاء المحرم عند الإضطرار أي حينما يشرف المرء على الهلاك لعدم وجود الغذاء الحلال:

«إنما حرم عليكم الميتة و الدم و لحم الخنزير و ما أُهلّ به لغير الله فمن إضطُرَ غيرَ باغ و لا عاد فلا إثم عليه إن الله غفورٌ رحيم».[٢]

وكذلك يُوجد هذا الحكم في سورة المائدة (آية ٣) و سورة الأنعام (آية ١٤٥) و سورة إبراهيم (آية ١١٥) ـ وكما قلنا آنفا إن حياة إمرىءٍ مسلم ثمينة جداً في نظر الإسلام وكذا أباح الله سبحانه و تعالىٰ أكل المأكولات المحرمة كالميتة أو لحم الخنزير اذا توقف الحياة عليه ـ و لنفس هذه العلة أذن الله سبحانه و تعالىٰ لعبده التفوّه بالكلمات الباطلة اذا توقف النجاة من الكفار على ذلك.

و نظراً الى هذا قال النبي ﷺ:

لا دين لمن لا تقية له.[٣]

---

١. الشريف الرضى، تفسير حقائق التأويل، ج ٥، ص ٢٣.

٢. سورة البقرة آية ١٧٣.

٣. الملا علي المتقي، كنز العمال، بيروت، الطبعة الخامسة (١٩٨٥ ـ ١٤٠٥)، ج ٣، ص ٩٦، حديث ٥٦٦٥.

وكذلك رُوي عن الإمام محمد الباقرعليه السلام أنه قال:

التقية من ديني و دين آبائي و لا إيمان لمن لا تقية له.[١]

سؤال ١٠: سلمنا أن التقية جائزة و أن القرآن و الحديث يُطْلِقان العنان لأمرىءٍ مسلم للإستفادة من التقية في بعض الحالات - و لكنني لا أظن أن الله سبحانه و تعالىٰ يرضىٰ به -ولو أنه أباحه- لأن الكذب قبيح.

جواب: لقد رأيت آنفا أن التقية جائزة بل واجبة في بعض الحالات و هل نستطيع أن نقول أن الله سبحانه و تعالىٰ قد أوجب شيئاً على عباده و لكنه لا يرضىٰ بذلك الواجب - وكذلك رأينا أن النبي صلى الله عليه وآله جعل التقية مرادفاً للدين و أن الإمام محمد الباقرعليه السلام يؤكد نفس الأمر بصراحة كاملة.

على أي حال! إن تدبرت في القرآن ترىٰ أن كتاب الله يعرض التقية علينا في أحسن زيّ و أجمل صورة - فإنه سبحانه و تعالىٰ يقول:

و قال رَجلٌ مؤمن من آل فرعون يكتُم إيمانه».[٢]

و هذا يدل على أن ذلك الكتمان -كتمان الإيمان- كان مرضياً عند الله سبحانه و تعالىٰ لأنه كان أنفع للدين و أحمىٰ لموسىٰعليه السلام - و نرىٰ كذلك في هذه الأُمة أن سيدنا أبا طالبعليه السلام كان يكتُم إيمانه لأنه كان أنفع للإسلام و أحمىٰ للنبي صلى الله عليه وآله. و أن أبا طالبعليه السلام إستطاع أن يحامي عن النبي صلى الله عليه وآله و يحفظه من شر الأعداء لأنه لم يعلن إسلامه -

---

١. الكليني، الكافي، طهران، سنة ١٣٨٨ هـ، ج ٢، ص ١٢٤.

٢. سورة المؤمن آية ٢٨.

وكذلك ذلك المؤمن من آل فرعون نجح في صيانة حياة موسىٰ عليه السلام لأنه لم يعلن إسلامه.

على أي حال! نرىٰ أن الله عزوجل راضيه و رضي إيمانه المختفي تحت ستار التقية حتىٰ أنه تعالىٰ أدخله في زمرة الصديقين كما قال النبي صلى الله عليه وآله: الصديقون ثلاثة: حبيب النجار مؤمن آل ياسين الذي قال: يا قوم إتبعوا المرسلين - و حزقيل مؤمن آل فرعون الذي قال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله - و علي بن أبي طالب و هو أفضلهم.»

(أخرجه البخاري عن إبن عباس و أحمد عن أبي ليلىٰ.)[1]

و المسألة لا تنتهي بمؤمن آل فرعون فإن البيضاوي يخبرنا أن النبي موسىٰ عليه السلام بنفسه كان يعيش مع فرعون بالتقية فإنه يصرح بذلك تحت آية:

«قال ألم نُربِّكَ فينا وليداً و لبثتَ فينا من عُمرِك سنين و فعلت فعلتك التي فعلت و أنت من الكٰفرين».[2]

و اذا نظرنا في تاريخ الإسلام في حوادث السنوات الأُولىٰ فنرىٰ أن النبي صلى الله عليه وآله قد أخفىٰ دعوته وكتم رسالته إلا عن خواصه الى مدة ثلاث سنوات حتى نزلت الآية: **و أنذر عشيرتك الأقربين.**

وكذلك نرىٰ عمار بن ياسر -رضي الله عنهما- كيف أُضطُرَ الى التقية - وكل ذلك كان في مكة قبل الهجرة -.

---

١. عبيد الله الامر تسرى، أرجح المطالب، الطبعة الثانية، ص ٢٣.

٢. سورة الشعراء آية ١٨ ـ ١٩.

أما بعد الهجرة فالقرآن يشهد أنه كان هناك رجال مؤمنون و نساء مؤمنات في مكة المكرمة الذين كانوا يُخفون إسلامهم الى أقصىٰ حد حتىٰ أن المسلمين أيضا لم يكونوا عالمين بإسلامهم - فحينما عاهد رسول الله ﷺ المشركين في عام ٦ من الهجرة في الحديبية و شرائط الصلح على الظاهر كانت راجحة في حق المشركين و مُزرئة للمسلمين - و هذا الأمر أوجد سخطاً و عدم الرضا في قلوب أكثر المسلمين وكان عمر بن الخطاب متغيظاً الى حد أقصىٰ حتىٰ أنه واجَدَ النبي ﷺ و إعترض عليه بلهجة قاسية - وكان يقول في أواخر حياته: «ما شككت مذ أسلمت إلا يومئذٍ»[1] فأنزل الله عزوجل هذه الآية في جواب هذه الطائفة من المسلمين و بيَّن لهم بعض مصالح صلح الحديبية وكان فيها:

«و لولا رجالٌ مؤمنون و نساءٌ مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً اليماً».[2]

فهذه الآية تقول بصراحة قاطعة انه كان هنالك في مكة رجال مؤمنون و نساء مؤمنات و مسلموا المدينة كانوا لا يعرفونهم و لا يعلمون بإيمانهم - و تدبر كيف يسمي الله عزوجل هٰؤلاء المسلمين الذين كانوا في ستار التقية «رجال مؤمنون و نساء مؤمنات».

المختصر: هذه الآيات و الروايات و الواقعات تدل بوضوح

---

١. البيضاوي، مصر، ج ١، ص ١١٢ و ٣٩٦.
٢. سورة الفتح آية ٢٥.

كامل على أن المسلم اذا كان في معرض الخطر بسبب عقيدته الصحيحة فله أن يتكلم ببعض الكلمات الباطلة للإتقاء من أعداء الدين و الإحتفاظ بحياته لأن حفظ حياة المسلم له أهمية فوق كل شيء و ذلك الكذب لا يُعدُّ إثماً أو ذنباً أو قبيحاً - و السيد الشريف الرضي يقول: «و قد علمنا أن التقية لا تدخل إلا في الظاهر دون ما في الضمير الباطن - لأن مَن خَوَّف غيره ليفعل أمراً من الأُمور اذا كان من أفعال القلوب لا يتمكن من معرفة حقيقة ما في قلبه - و إنما يستدل بإظهار لسانه على إبطال جنانه - فالذي يحسن عند التقية إظهار موالاة الكفار قولاً بالخلاط و المقاربة و حسن المعاشرة و المخالطة و يكون القلب على ماكان من قبل في إضمار عداوتهم و إعتقاد البراءة منهم - و ينوى الإنسان بما يظهره من ذلك معاريض الكلام و إحتمالات الخطاب.»[1]

التّورِيَة

سؤال ١١: ما هو المراد من الفقرة الأخيرة من كلام الشريف الرضي المذكور أعلاه؟

جواب: هو يشير هٰهنا الى أحسن الطرق للتقية و هذا الأُسلوب يقال له التورية (أي التغطية).

بعض الأحيان يمكن أن يكون للجملة أو الكلام معنيان و يكون أحد المعنيين حقاً و الآخر باطلاً - فالمؤمن المتقي (أي الذي

---

١. الشريف الرضي، تفسير حقائق التأويل، ج ٥، ص ٢٢.

يستعمل التقية) يريد من قوله المعنىٰ الصحيح ولكن السامع (أي العدو) يظن أنه يريد المعنىٰ الأخر الذي يطابق مراده - و بهذا الطريق ينجوا المؤمن من أيدي الكفرة الظلمة بدون أن يتكلم بكلمة واحدة باطلة.

و نجد مثالاً رائعاً للتورية في كلام المؤمن من آل فرعون المتقدم ذِكْرُه كما بَيَّنَه الإمام جعفر الصادقعليه السلام في ضمن حديث:

«و لقد كان لحزقيل المؤمن مع قوم فرعون الذين و شوا به الى فرعون مثل هذه التورية - كان حزقيل يدعوهم الى توحيد الله و نبوة موسىٰ... و الى البرائة من فرعون - فوشىٰ به واشون الى فرعون و قالوا: إن حزقيل يدعو الى مخالفتك و يُعِين أعدائك على مضادتك. فقال لهم فرعون: إبن عمي و خليفتي في ملكي و ولي عهدي!! إن كان قد فعل ما قلتم فقد إستحق العذاب على كفره نعمتي - وإن كنتم كذبتم عليه فقد إستحققتم أشد العذاب لإيثاركم الدخول في مسائته - فجاء بحزقيل و جاء بهم - فكاشفوه و قالوا: أنت تجحد ربوبية فرعون الملك و تكفر نعمائه.

فقال حزقيل: أيها الملك! هل جرَّبت عليَّ كذباً قط؟

قال: لا

قال: فسلهم من ربهم

قالوا: فرعون

قال: و من خلقكم؟

قالوا: فرعون هذا

قـال: و مـن رازقكـم، الكـافل لمـعايشكم و الدافـع عـنكم مكارهكم؟

قالوا: فرعون هذا

قال حزقيل: أيها الملك! فأُشهدك وكل من حضرك: أن ربـهم ربي، و خالقهم هو خالقي، و رازقهم هو رازقي، و مصلح معايشهم هو مصلح معايشي، لا رب لي و لا خالق غير ربهم و خالقهم و رازقهم - وأُشهدك و من حضرك: أن كل رب و خـالق سـوىٰ ربـهم و خـالقهم و رازقُهم فأنا بريء منه و من ربوبيته وكافر بإلٰهيته.»

يقول حزقيل هذا و هو يعني: أن ربهم هو الله ربي، و لم يقل: إن الذين قالوا إنه ربهم هو ربي - و خفيَّ هذا المعنىٰ على فرعون و من حضره و توهموا أنه يقول: فرعون ربي و خالقي و رازقي - فقال لهم: يا رجال السوء و ياطلاب الفساد في ملكي و مؤيدي الفتنة بيني و بـين إبن عمي و هو عضدي - أنتم المستحقون لعذابـي لإرادتكـم فسـاد أمري (الى آخر الحديث).[١]

و هناك مثال آخر لتورية المسـيحعليه السلام نـقله متي فـي إنـجيله: (فذهب الفريسيون و تآمروا كيف يوقعونه بكلمة يقولها. فأرسلوا اليه بعض تلاميذهم مع محاربي هيرودُس، يقولون له: «يا معلم، نعلم أنك صادق و تُعلّم الناس طريق الله فـي الحـق، و لا تـبالي بـأحد لأنك لا تراعي مقامات الناس، فقل لنا إذن ما رأيك؟ أيحِلُّ أن تُدفَعَ الجـزية

---

١. أبـومنصور الطـبرسي، الإحـتجاج، دار الـنعمان الـنجف، ١٩٦٦ـ١٣٨٦، ج ٢، ص ١٣١ـ١٣٢.

لقيصر أم لا؟»

فأدرك يسوع مكرهم و قال: «أيها المُراؤون، لماذا تُجَرِّبونني؟ أروني عملة الجزية!» فقدَّموا له ديناراً. فسألهم: «لمن هذه الصورة و هذا النقش؟» أجابوه: «لقيصر» فقال لهم: «إذن، أُعطوا ما لقيصر و ما للّٰه للّٰه» فتركوه و مضوا مدهوشين مما سمعوا.»[١]

وكذلك نرىٰ تورية (أو تقية) القديس بولس حينما اُوقف أمام المجلس اليهودي للاستجواب:

«و اذ كان بولس يعلم أن بعض أعضاء المجلس من مذهب الصدوقيِّين، و بعضهم من مذهب الفريسيِّين، نادىٰ في المجلس: «أيها الإخوة، أنا فريسي إبن فريسي، وإني اُحاكم الآن لأني أعتقد أنّ للمولىٰ رجاءً بالقيامة!» و هنا دبَّ الخلاف بين الفريسيِّين و الصدوقيِّين من أعضاء المجلس، فإنقسم الحاضرون. فإن الصدوقيِّين ينكرون القيامة و الملآئكة و الأرواح، أما الفريسيون مُقِرُّونَ بها كلها. و علا الصياح، فوقف بعض علماء الشريعة الموالين للفريسين يحتجون بحماسة، فقالوا: «لا نجد على هذا الرجل ذنباً، فلربما كلَّمَه روح أو ملاك!»[٢]

و يوجد هناك أمثلة كثيرة لهذا النوع من التورية في حكايات الشيعة ولكن أكثرها تحتاج الى توضيح النكات النحويّة أو الصرفية

---

١. الإنجيل كما دوّنه متي ٢٢: ١٥ـ٢٢.

٢. أعمال الرسل ٢٣ : ٦ـ٩ ـ وبولس إن كان مراده من قوله «أعتقد أن للموتىٰ رجاء بالقيامة» إنه يعتقد بقيام المسيح ثلاثة أيام بعد «موته على الصليب» فهذا هو التورية ـ وإلا فهو التقية ـ.

لتبيين معناها ولذا نطوي عنها الكشح ويكفي هٰهنا إيراد حكاية واحدة لإيضاح المراد.

كان هناك خطيب مصقع على المنبر والمجلس غاص بالمسلمين من بين سنيّهم وشيعيّهم، فأراد بعض الحاضرين إلقاء الفتنة وقال له: «تفضلوا من كان خير الناس بعد رسول الله؟ أبو بكر أم علي؟» فأجابه في الفور: «من بنته في بيته» وهذه الجملة يمكن تفسيرها بوجهين: ١ـ من بنته في بيت النبي (أي أبو بكر) أو ٢ـ من بنت النبي في بيته (أي علي).

متى لا تجوز التقية؟

سؤال ١٢: الآن علمنا أن التقية جائزة في حالات مخصوصة بل مستحسنة بل واجبة ـ فالرجاء أن تبينوا لنا لماذا لم يعمل بها الإمام الحسينعليه السلام في كربلاء؟ لماذا ضحّىٰ بكل ما كان في يده لأجل إقامة الحق والصدق ولم يلتجىء الى التقية؟

جواب: لقد بينّا في البداية أن التقية مبنية على أساس «إختيار أقل القبحين» فالتكلم بكلمة باطلة ليس بأكبر من إلقاء نفس محترمة في التهلكة وكذا يكون الكذب الظاهري راجحاً على الإقتحام على الموت.

فالآن نفرض أن إحتفاظ حياتك بالتقية يتوقف على إلقاء مؤمن آخر في التهلكة فماذا تفعل أنت؟ ـ العقل يحكم بأن تضحّي نفسك ولا تُعرّض مسلماً آخر للموت ـ لأن في هذا المفروض سيقُتل إمرءٌ

مؤمن لا محالة في كلا الحالين - أما أنت أو ذلك المؤمن - فالأفضل أن تـقدم أنت و لا تـلتجىء الى التـقية لئـلا تكـون سـبباً لهـلاك مؤمن آخر.

ثم نفرض أن هناك رجل لو تمسك هو بالتقية فهذا العمل يكون سبباً لوقوع خلق كثير في الضلالة و الردئ - فبناءً على الأصل المتقدم محرم عليه التقية - لأن إحتفاظ نفس واحدة أو نفوس عديدة ليس له أيّ وزن في مقابل فتح باب الضلالة للخلائق - و الآن ننظر الى واقعة كربلاء و مضمراتها - أمّا سيرة يزيد المليئة بالفسق و الفجور و المجون و الخلاعة معروضة في العالم و لا حاجة لنا بـذكر تـفاصيلها هُـهنا - و هكذا رجل يطالب البيعة من الإمام الحسينعليه السلام!! و الحسين من هو؟ هو إبن بنت رسول اللهصلى الله عليه وآله، رمز الأقدار الإسلامية و علامة الإستقامة الدينية - وكتب يزيد الى عامله بالمدينة ان يطالب الحسين بالبيعة له فان أبئ فليبعث برأسه الى يزيد.

فالإمامعليه السلام كان يعلم حق العلم ماذا تكون نتيجة رفـضه لتـلك المـطالبة و فـي نـفس الوقت كـان مسـتيقنا حـق اليـقين أنـه لو بـايع يزيد - يزيد الفـجور، يـزيد الخـمور، يـزيد الكـفر، يـزيد الطـغيان - فالمسلمون في أنحاء العالم سيطمئنون أن يزيد هو خـليفة الرسـول و سينتهي هذا الى سريان جـميع تـهتكات يـزيد كـالخليفة القـانوني لرسول اللهصلى الله عليه وآله إذن لفسد الإسلام و مسخت صورته بالكلية و أيضا إن الحسينعليه السلام كان يعلم أن يزيد غير تاركه حياً بل سوف يقتله بـايع أو لم يبايع.

فالبيعة لا تحتفظ بحياته حتىٰ تجوز له تقية و لذا رفض الإمام البيعة و لم يكترث بنتائج هذا الانكار و لم يلتفت الى التقية أصلاً.

و يظهر من هذا أنه إن كان هناك رجل في أعلىٰ المراتب الروحانية و أسمىٰ المدارج الإيمانية و هو يعلم أنه لو تمسك بالتقية فكثيرون يضلون بسببه. فالأصل الأساسي يقضي أن التقية لا تجور لهذا الرجل و يجب عليه أن يعلن بالصراحة ما هو الحق الحقيق و الصدق الواقع و يضحّي نفسه في سبيل الله تعالىٰ لإعلاء كلمته ـ فإن الإحتفاظ بنفس أو نفوس ليس بأهم من إنقاذ نفس أو نفوس من الضلالة و الردىٰ و إرشادها الى صراط الله العزيز الحميد.

و أخيراً فنؤكد مرة أُخرىٰ أن التقية لا تخص الشيعة ـ بل كل فرقة من فرق الإسلام تعترف بها و بجوازها بل وجوبها كما يظهر من الإقتباسات المتقدمة من صحيحي البخاري و مسلم وكتب التفاسير لأهل السنة ـ و الإمام الشافعي رحمه الله أجاز التقية لا من الكافرين فقط بل من المسلمين أيضاً ـ وعلماء أهل السنة ـ بدون إستثناء يعتقدون أن التقية جائزة الى يوم القيامة ـ و من أراد التفصيل فلينظر في فلك النجاة (لمولانا علي محمد و مولانا أمير الدين رحمهما الله) فإنه سيرىٰ عشرات من الإقتباسات من ص ٨٩ الى ص ١١٦.

و يقول العالم المعروف نجم الدين الطوفي الحنبلي:

«و أعلم أن النزاع الطويل بينهم في التقية إستدلالاً و جواباً ذاهبٌ هدراً... أما التقية... فلا مبالاة بإثباتها و جوازها ـ و إنما يكره

عامة الناس لفظها لكونها من مستندات الشيعة - و إلا فالعالم مجبول على إستعمالها و بعضهم يسميها مداراة و بعضهم مصانعة و بعضهم عقلاً معيشياً و دل عليها دليل الشرع.»[١]

سؤال ١٣: لقد رأينا الآيات القرآنية و تفاسيرها و الأحاديث النبوية و مفادها و الوقائع التاريخية و مضمراتها و السيرة النبوية و عمل الأصحاب و تورية الأنبياء السابقين و المؤمنين الصالحين - و لا ريب في صحة أُصول التقية من وجهة نظر الإسلام و مبادىء الشرع ولكن السؤال يتجهُ الآن في خصوص دَيدَن الوهابية - لماذا يتهم الوهابيون و يلصقون عقائد سخيفة و آراء ركيكة الى الشيعة و بعد ذلك يوحون الى أوليائهم أن يصغو الى الشيعة اذا أنكروا تلك العقائد المزعومة و الآراء الموهومة و أن لا يلتفتوا الى ما تقول الشيعة لأن الشيعة دَيدَنهم التقية و هذا الإنكار و التبرىء ينشأ من التقية؟

جواب: أنت تعلم أن كتبنا القديمة و الجديدة ملأت أقطار الأرض بشتىٰ اللغات من العربية و الفارسية و الاردية الى الگجراتية و البنغالية و الهندية و من الانگليزية و التركية الى السواحلية و الاندونيزية - و تلك الكتب تنشر و تباع علناً في إيران و العراق و سوريا و لبنان و دول الخليج و الباكستان و الهند و أندونيزيا الى تانزانيا وكينيا و بريطانيا وكندا و الولايات المتحدة الأمريكية و غيرها

---

١. نجم الدين الطوفي، شرح الأربعين النووي، نقلاً عن فلك النجاة، الطبعة الثانية، لاهور، ج ٢، ص ١٠٢.

و هناك كتب وكتيبات في كل فن و موضوع إسلامى من الإلٰهيات و الفقه و أُصول الفقه الى علم الكلام و المناظرة و التاريخ و من علم الإجتماع و علم الإقتصاد الى الأخلاق و الفلسفة - و هذه الكتب بعضها لتعليم الأطفال و أُخرىٰ للشباب و المثقفين - فقل للوهابية فليأتوا بالشواهد من كتبنا على العقائد السخيفة التي ينسبون الينا و دون ذلك خرط القتاد.

و إني كنت أُفكر في هذا الدَيدَن الوهابي فسنح لي أن الطريق الى إسكات الوهابيين كما يلي - فإستمع أنت الى ما أقول:

أنا أدّعى بدون أي شاهد أو بينة أن الوهابية يعتقدون بنبوة محمد بن عبد الوهاب - و يبغضون نبي الإسلام سيدنا و مولانا محمد المصطفى بن عبد الله ﷺ و لذلك يشدّدون النكير على المسلمين اذا تظاهروا بمحبة الرسول ﷺ و في عين الحال لا يجترئون أن يُظهروا هذه العقيدة الأساسية لهم و يعلنوها لأنهم لو أظهروا هذا الإعتقاد الفاسد فالمسلمون يخرجونهم من الحرمين الشريفين و سيُقضىٰ على سيطرتهم على الحجاز (وكلنا نعلم أن الحجاز هو أساس إقتدارهم و إعتزازهم.)

فاذا جاءت الوهابية بعد هذا الإدعاء مني بكتبهم و شهدوا بألسنتهم أن محمداً ﷺ رسول الله و أنه خاتم النبين و أن لا نبي بعده - فأقول لهم أن كل هذا دجل و خدعة وكتبكم هذه غير معتمدة و إقراركم باللسان لا يُعتنىٰ به لأنكم تخفون عقيدتكم الأصلية مخافة أن تزول سيطرتكم عن الحرمين الشريفين.

فكيف يجيبون؟ و ماذا يقولون؟

فما هو جوابهم عن هذا فهو جوابنا عن هذه الاتـهامات التـي ينسبونها الينا.

وآخر دعوانا أن الحمد للّٰه رب العالمين وسلام على المرسلين

الأحقر السيد سعيد اختر الرضوي

نيوجرسي (آمريكا)

نظرة مستعجلة
في
مسألة تحريف القرآن

إن القرآن هو المعجزة الخالدة لرسول الإسلامﷺ و البينة الواضحة لصدقه و حقانية رسالته - فإن النبيﷺ بشّر جميع الامم بدعوتهم الى الإسلام و أقام عليهم الحجة بالقرآن و تحدّاهم بإعجازه حسبما أمره الله سبحانه و تعالىٰ:

«قل لئن إجتمعت الإنس و الجن على أن يأتوا بمثلِ هذا القرآن لا يأتون بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا.»[1]

ثم تنزل عن ذلك و تحداهم الى أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات:

«أم يقولون إفتريٰه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات و ادعوا من إستطعتم من دون الله إن كنتم صٰدقين.»[2]

ثم تنزل عن ذلك أيضاً و دعاهم الى إتيان سورة مثله فقط:

«أم يقولون افتريٰه قل فأتوا بسورة مثله و ادعوا من إستطعتم من

---

١. سورة الإسراء آية ٨٨.

٢. سورة هود آية ١١.

دون الله إن كنتم صٰدقين.»[١]

و هناك آيات أُخر تتحداهم ولكن العرب و فيهم نوابغ في الفصاحة و البلاغة عجزوا عن الإتيان بمثل سورة ولو قصيرة و بعد ذلك إجتهدوا في إطفاء نور الله باضرام الحرب بعد الحرب. و إثارة الحروب دليل واضح على عجزهم عن المعارضة باللسان و إلا لما إحتاجوا الى المنازعة بالسنان فهذا إعتراف منهم بعجزهم عن المقابلة بالكلام فآثروا المقاتلة بالسيوف و السهام - وكلنا نعلم أن تلك الحروب قائمة على ساقها الى يومنا هذا بشكل أو آخر.

فالقرآن هو أساس الإسلام وَ أحَدُ الثقلين اللذين خلّفهما رسول الله ﷺ في الأُمة بعده لتأمين هدايتهم -ما إن تمسكوا بهما- و أعداء الإسلام نظراً الى هذه الأهمية الكبرى التى يتمتع بها القرآن رغماً لفشلهم عن معارضته يحاولون من أول يوم أن يَحُطّوا من قدره فيشنعون عليه و يستخفون به بعناوين شتىٰ تافهة، مثلاً:

يدّعون أن النبي ﷺ تعلم هذه الحقائق المتينة و المعارف السامية من اليهود أو النصارىٰ!

يقولون أن هناك تناقضات في القرآن!!

يكتبون أن تعاليم القرآن الأخلاقية أدنىٰ درجة من تعاليم الإنجيل!!!

وكل هذا مجرد الدعوىٰ فقط بدون أيّ دليل مقنع أو بينة واضحة والمسلمون فنّدوا جميع هذه الأُسطورات بما لا مزيد عليه

---

١. سورة يونس آية ٣٨.

-و اذا نظرنا في كلام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام مع زنديق حول القرآن إتضح لنا كيف دافع أهل البيت عليهم السلام عن القرآن و أوضحوا الحق الحقيق لذي عينين.

و من أبرز محاولات المعاندين لتشويه سمعة القرآن هو دعاية التحريف - و هذه المقالة توضح بإختصار صيانة القرآن عن التحريف.

التحريف يُستعمل في معان شتىٰ:

١) التحريف في المعنىٰ.

٢) التحريف في ترتيب السور و الآيات.

٣) التحريف بالزيادة.

٤) التحريف بالنقص.

٥) التحريف بتبديل الألفاظ.

أما التحريف بالمعنيين الأولين فقد وقع قطعاً و لا مجال للإنكار لأحد فيه و التحريف بالمعنىٰ الثالث لم يقع قطعاً و لا يوجد أي قائل بذلك.

أما التحريف بالمعنيين الأخيرين فهناك روايات و أحاديث كثيرة في كتب الفريقين -أهل السنة و الشيعة- تدل على ذلك ولكن المحققين من العلماء لا يعتنون بها و جُلهم يعتقدون بعدم التحريف بهذا المعنىٰ أيضاً و علماء الشيعة يصرحون بإعتقادهم هذا من أول يوم الى الآن.

إن الله سبحانه و تعالىٰ أعلن بالتأكيد المؤكد أنه عزّ و جلّ هو الذي يتولىٰ صيانة القرآن عن دسائس الأباطيل كما قال عز من قائل

«إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون».[1]

(أنـظروا الى التأكـيدات الثلاثة فـي الجـملة الثـانية «وإنـا له لحافظون»: أداة التأكيد «إنَّ» لام التأكيد «لحافظون» وإسمية الجـملة الدالة على الإستمرار.)

و لذلك نرىٰ أن الرسول الكريمﷺ كان شديد الإهتمام بكتابة القرآن و جـمعه فـي صـورة كـتابية كـما بـينه المـحققون مـن عـلماء الشيعة.

وكذلك تدل الشواهد الداخلية و الخارجية على أن النبيﷺ لما توفي ترك قرآناً مدوناً في صورة كتاب بايدي المسلمين.

أما الشهادة الداخلية فنجد في القرآن نفسه لا أقـل مـن إثـنين وخمسين آية تشير الى القرآن بلفظ «الكتاب» و أولها «ذلك الكـتاب لا ريب فيه».

و أما الشهادات الخارجية: فأولاً الحديث المشهور المتفق عليه بين الفريقين المعروف بحديث الثقلين -و الذي يوجد في عشـرات من مجامع الأحاديث السنية و الشـيعية. بـعبارات شـتىٰ مـع وحـدة المعنىٰ و فيما يلى ما أخرجه مسلم في صحيحه:

من زيد بن أرقم قال: قال النبيﷺ يوم غدير خم:

«و إنى تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله فيه الهـدىٰ و النـور فخذوا بكتاب الله و إستمسكوا به» ـ فحث على كتاب الله و رغب فيه ثم قال: «و أهل بيتي. أُذّكركم الله في أهل بيتي أُذّكركم الله في أهل بيتي

---

١. سورة الحجر آية ٩.

أذّكركم الله في أهل بيتي.»[1]

و هناك أحاديث أُخرىٰ تذكر «كتاب الله و سنتي» ولكن الفقرة «كتاب الله» موجود فيها أيضاً بدون أي تفاوت في هذا التعبير و هذا يدل على وجود «كتاب الله» بأيدى المسلمين في أواخر حياة النبيﷺ.

و هذه الخطبة القاها النبيﷺ حوالي شهرين و نصف قبل وفاته.

و ثانيا نرىٰ انهﷺ قبل رحلته بأيام قلائل أراد أن يكتب الوصية لئلا يضل المسلمونْ بعده فقال:

هلم أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعده فقال عمر: إن رسول الله قد غلب عليه الوجع و عندكم القرأن حسبنا كتاب الله».[2]

خطة أعداء الإسلام

أمـا أعـداء الإسـلام فـقد خـططوا هـذه الخـطة لهـدم إيـمان المسـلمين و إضـعاف عـقيدتهم فـي صـدق القـرآن أي فـي حـقانية

---

١. صحيح مسلم، بيروت (الطبعة الثانية) ١٩٧، ج ٤، ص ١٨٧٣
مسند أحمد بن حنبل، ج ٣، ص ١٣، ١٧، ٢٦، ٥٩.
صحيح الترمذي، ج ٣، باب مناقب أهل‌البيت، ص ٢٠٠، ٢٠١ هذا الحديث مروي عن ٢٠ صحابياً و أخرجه كثير من المحدثين في مجاميعهم بطرق متعددة.

٢. صحيح مسلم، بيروت (الطبعة الأُولىٰ) ١٩٥٥/١٣٧٥، ج ٣، ص ١٢٩٥ و البخاري ذكر هذا الحديث في خمسة مواضع ـ أُنظروا صحيح البخاري، (القاهرة ١٩٥٨)، ج ١، كتاب العلم، باب كتابة العلم، ص ٣، ج ٦، باب كتاب النبي الى كسرىٰ و قيصر، ص ١١، ١٢، ج ٧، كتاب الطب باب قول المريض قوموا عنى ص ١٥٥/١٥٦، ج ٩، كتاب الإعتصام بالكتاب و السنة باب كراهية الخلاف، ص ١٣٧.

الإسلام، إنهم نظروا الى الآوضاع السائدة في جامعة المسلمين في أوائل عصور الإسلام و إستغلوها لصالح مفادهم - فإنهم وجدوا فيها سوقاً رائجاً للأحاديث المزورة و الروايات المختلقة، فتشبثوا بذلك وإختلقوا ألوفاً من الروايات تستهدف قداسة القرآن و تشوه وجهه بإفتراءات متنوعه. فبعضها تقول أن القرآن قد سقط منه كثير أو أن الكاتب بدّل لفظا بآخر بسبب النعاس، أو أن فيه لحناً أي الأغلاط الصرفية و النحوية. (هذا في حق كتاب عجز فصحاء العرب العاربة عن الإتيان بمثل سورة منه!!)

والهدف الوحيد من جميع هذه المفتريات هو إضلال المسلمين ليتزلزل إيمانهم بالقرآن ككتاب مُنزل من الله سبحانه و تعالىٰ بواسطة الروح الأمين الى النبي الصادق الأمين هدىً للناس و بيناتٍ من الهدىٰ و الفرقان.

و لا ريب أن محتويات هذه الروايات الموضوعة متناقضة تماماً و بالكلية لما يعتقده المسلمون -أهل السنة و الشيعة- حول القرآن. كما يقول رئيس المحدثين الشيخ أبو جعفر الصدوق؅ في كتاب الإعتقادات:

قال الشيخ أبو جعفر إعتقادنا أن القرآن الذي أنزل الله تعالىٰ على نبيه محمدﷺ ما بين الدفتين و هو ما بأيدي الناس ليس بأكثر من ذلك... و من ينسب الينا إنا نقول أنه أكثر من ذلك فهو كاذب.[1]

و نجد مثل هذا الإعلان الصريح في كتب و فتاوىٰ جُل الفقهاء

---

١. كتاب الإعتقادات للشيخ الصدوق (المتوفىٰ ٣٨١) طهران ١٣٧٠، ص ٦٣.

و المحدثين و المفسرين الشيعة مثلاً:

الشيخ المفيد (٣٣٨ـ٣١٣) في أوائل المقالات، ص ٩٥.

الشريف المرتضىٰ (٣٥٥ـ٣٣٦) بحرالفوائد (طهران ـ ١٣١٣)

الشيخ الطوسي (٣٨٥ـ٣٠٨) تفسير التبيان (نجف ١٣٧٦)، ج ١، ص ٣.

الشيخ الطبرسي (المتوفىٰ سنة ٥٤٨ هـ) تفسير مجمع البيان (لبنان)، ج ١، ص ١٥.

الإذعان بصيانة القرآن من التحريف يستمر بدون أي فترة الى الآن. و اليكم أسماء بعض المحققين المعروفين في العصر الحاضر:

السيد محسن الأمين العاملي (١٢٨٤ـ١٣٧١)

السيد شرف الدين الموسوي العاملي (١٢٩٠ـ١٣٧١)

الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (١٢٩٥ـ١٣٧٣)

السيد محسن الحكيم الطباطبائي (١٣٠٦ـ١٣٩٠)

السيد محمد هادي الميلاني (١٣١٣ـ١٣٩٠)

السيد محمد حسين الطباطبائي (١٣٢١ـ١٤٠٢)

السيد روح الله الموسوي الخميني (١٣٢١ـ١٤٠٩)

السيد أبوالقاسم الخوئي (١٣١٧ـ١٤١٣)

السيد محمد رضا الگلپايگاني طاب ثراه

الآن نريد أن نشير بالإختصار الى المواضيع التالية ليستطيع القارىء أن يرىٰ كيف تمكن أعداء الإسلام و القرآن من إثارة هذه الفتنة ـفتنة التحريفـ في جامعة المسلمين و الى أي حد نجحوا في

إضلالهم المسلمين و صرفهم عن القرآن الكريم:

الف ـ ظهور الروايات المزورة في عالم الإسلام.

ب ـ إعترافات بعض المفترين و الوضاعين.

ج ـ أمثلة بعض الروايات الدالة على سقوط مئات (ان لم يكن آلأف) من الآيات من القرآن.

د ـ فكرة أهل السنة حول هذه الروايات ـ نظرية نسخ التلاوة و مؤداها.

هـ ـ نظرية الشيعة.

و ـ ما هو الهدف الأصلي للإستعمار الأمر يكي من إثارة هذه الفتنة في الوقت الحاضر؟

و معلوم أنه لا يمكن الإحاطة و الإستيعاب لكل ذلك في مقالة مختصرة و لذا نَمُرُّ بسرعة على هذه الموضوعات و نؤجل التفصيل الى وقت آخر، لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً.

الف) ظهور الروايات المزورة في عالم الإسلام

من أفظع المآسي و أفجع المصائب في تاريخ الإسلام هو ظهور و نشر الروايات المفتريات من عصر الرسول الصادق نفسه ـ حتى أضطر صلى الله عليه وآله الى أن ينذر المسلمين من هذه الفتنة ليكونوا على حذر فقال مراراً من فوق المنبر:

لقد كثر عليّ الكذابة و ستكثر فمن كذّب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار. فاذا أتاكم الحديث فأعرضوه على كتاب الله و سنتي

فما و افق كتاب الله فخذوا به و ما خالف كتاب الله و سنتي فلا تأخذوا به.[١]

اللازم أن نلفت النظر الى أن النبيﷺ جعل القرآن معياراً للحديث بمعنىٰ أن الحديث يتميّزُ صحيحه من سقيمه بعرضه على القرآن و أنهﷺ لم يجعل الحديث معياراً للقرآن أبداً. فالقرآن لا يحتاج الى شهادة الحديث. كلاّ! بل الحديث محتاج الى شهادة القرآن في الرد أو القبول.

و لكنا نرىٰ مع الأسف أنه بالرغم من ذلك التحذير و الإنذار إنتشرت معامل وضع الحديث في بلاد الإسلام و ازدهرت ـ حتىٰ قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام في جواب رجل سأله عن أحاديث البدع و إختلاف الأخبار:

إن في أيدى الناس حقاً و باطلاً و صدقاً وكذباً و ناسخاً و منسوخاً و عاماً و خاصاً و محكماً و متشابهاً و حفظاً و وهماً و قد كُذِب على رسول اللهﷺ على عهده حتىٰ قام خطيباً فقال: «من كذّب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» و إنما أتاك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس.

١) رجل منافق مظهرٌ للإيمان متصنع بالإسلام لايتأثم و لا يتحرج ـ يكذب على رسول اللهﷺ ـ متعمداً ـ فلو علم الناس أنه

---

١. سفينة البحار، للشيخ عباس القمي، ج ٢، ص ٤٧٤، هذا الحديث متواتر المعنىٰ و يوجد في جميع كتب الأحاديث من الفريقين، أُنظروا الى صحيح البخاري، ج ١، ص ٣٨، كتاب الحلم باب إثم من كذب علىٰ النبي.

منافق كاذب لم يقبلوا منه ولم يُصدِّقوا قوله - ولكنهم قالوا: صاحبُ رسول اللهﷺ - رآهُ وسمع منه ولقف عنه - فيأخذون بقوله - وقد أخبرك الله عن المنافقين بما أخبرك ووصفهم بما وصفهم لك - ثم بقوا بعده فتقربوا الى أئمة الضلالة والدعاة الى النار بالزور والبهتان - فوَّلوهم الأعمال وجعلوهم حكاماً على رقاب الناس - فأكلوا بهم الدنيا - وانما الناس مع الملوك والدنيا إلا من عصم الله فهذا أحد الأربعة (الى آخر الكلام).[١]

والأوضاع تحولت الى أسوء بعد شهادة أمير المؤمنينعليه السلام في سنة ٤٠ هـ - حينما تسلط معاوية على الدولة الإسلامية - فإنه أسّس ما يمكن أن يسمىٰ بأول إدارة للدعاية في العالم ولا يسعنا هنا بسط القول في ذلك فعلىٰ من يريد مزيد الإطلاع الرجوع الى شرح نهج البلاغة لإبن أبى الحديد المعتزلي فهو يكتب نقلاً عن كتاب الأحداث (لأبي الحسن علي بن محمد بن أبي سيف المدايني) كيفية تأسيس تلك الإدارة وأنها كيف نمت وإزدهرت وترسخت في جميع أقطار العالم الإسلامي وكيف جدَّ الناس في رواية تلك الأحاديث المفتعلة غير المحصورة «حتىٰ أشادوا بذكر ذلك على المنابر وألقي الى معلمي الكتاتيب فَعَلَّمُوا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع حتىٰ رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن وحتىٰ علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم فلبثوا بذلك ما شاء الله.»

---

١. نهج البلاغة، (إعداد الدكتور صبحي صالح) دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ص ٣٢٥-٣٢٦.

ثم يقول:

«وكان أعظم الناس في ذلك بلية القراء المرائون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك فيفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم ويقربوا مجالسهم ويُصيبوا به الأموال والضِياع والمنازل - حتىٰ إنتقلت تلك الأخبار والأحاديث الى أيدي الديّانين الذين لايستحلون الكذب والبهتان - فقبلوها وَروَوَها وهم يظنون أنها حق - ولو علموا أنها باطلة لما رووها ولا تدينوا بها.[1]

أربعة من رواة «الأحاديث» كانوا حائزين الأهمية الفائقة وكانوا يُعتَبَرون كالمركز الأساسي لتلك الخطة: وهم أبو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة من الصحابة وعروة بن الزبير من التابعين.[2]

وهذا لا يعني أن هٰؤلاء الأربعة فقط كانوا منغمسين في هذه الطامة بل كان هنالك مئات من المزورين في كل بلدة وقرية كما أشرنا اليه آنفا - ولنذكر هنا واقعة لتكون عبرة للناظرين:

«وقد روي أن معاوية بذل لسَمرة بن جندب مائة ألف درهم حتىٰ يروى أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب: (ومن الناس **من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام واذا تولىٰ سعىٰ في الارض ليُفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد.)**

---

١. شرح نهج البلاغه، لابن أبي الحديد المعتزلي، داراحياء الكتب العربية، القاهرة، ج ١١، ص ٤٤ - ٤٦.

٢. نفس المصدر، ج ٤، ص ٦٣.

و أن الآية الثانية نزلت في ابن ملجم و هي قوله تعالىٰ (**و من الناس من يشرى نفسه إبتغاء مرضات الله**) فلم يقبل - فبذل له مائتي ألف درهم فلم يقبل - فبذل له ثلاثمائة ألف فلم يقبل - فبذل له أربعمائة ألف فقبل و روىٰ ذلك.»[١]

ب) إعترافات بعض المفترين و الوضاعين

وكان من سوء حظ الإسلام أن أكثر الذين كانوا منغمسين في هذا التيار كانوا يتظاهرون بالزهد و الصلاح كما مر آنفا - نذكر هٰهنا واحداً منهم كأبي عصمة فرج بن أبي مريم المروزي فإنه لما قيل له: «من أين لك عن عكرمة عن إبن عباس في فضل سور القرآن سورة، سورة؟! فقال: إني رأيت الناس قد أعرضوا عني و اشتغلوا بفقه أبي حُنيفة و مغازي محمد بن إسحاق فوضعتُ هذا الحديث حسبة.»[٢]

فلما رأىٰ الدهريون و الزنادقة أن إختلاق الحديث أصبح كعادة راسخة و طبيعة ثانية لأهل العلم و الدين في الإسلام إستغلوا تلك الفرصة - فأدخلوا عشرات الألوف من الأخبار المزورة لتخريب الإسلام و هدم بنيانه و النيل من قداسة القرآن - و لنذكر هنا إعتراف إبن أبي العوجاء الدهري المعروف ليُرىٰ مدىٰ سريان هذا الداء في كيان الإسلام.

كان محمد بن سليمان (والي الكوفة) حبسه ثم أمر بقتله

---

١. نفس المصدر، ٧٣.

٢. تفسير البيان، ص٣٧ ـ فجر الإسلام، لإحمد أمين المصري،القاهره، ص ٢١٥.

في سنة ١٥٥ هـ «فلما أيقن أنه مقتول قال: أما والله لئن قتلتموني لقد وضعت أربعة آلاف حديث أُحّرم فيها الحلال وأُحِلُّ فيها الحرام ـ والله لقد فطّرتكم في يوم صومِكم وصَوّمتُكم في يوم فطركم.»[١]

ولكنه مع ذلك كله كان من المستحيل تزوير الأحاديث لالقاء الشبهة في اصالة القرآن بدون أن يبث الدعاية أن القرآن لم يكن مدوناً مرتباً في صورة الكتاب في حياة النبيﷺ وأن الخليفة الأول أو الثاني أو الثالث رتب القرآن من ألواح الخشب والأحجار والقراطيس والأهاب وصدور الرجال حوالي سنتين أو ٢٣ سنة بعد وفاة الرسولﷺ ـ أولئك المزورون كانوا عارفين بنفسية طوائف المسلمين ولذا وضعوا الأحاديث ضد القرآن في زيّ فضائل الصحابة أو أهل البيت ليضلوا بها السنة والشيعة. فتلقىٰ المسلمون العسل المسموم بأيدي القبول ولَعقُوه برغبة وإشتياق غافلين عن عاقبته الوخيمة.

ولأن كل وضاع كان يروي «الحديث» حسب مشتهياته لم يكن بين وضاعٍ وآخر أي تناسق ولذلك نرىٰ في تلك الروايات إختلافات وتناقضات غير متناهية ولقد راجع أُستاذ الفقهاء السيد الخوئي طاب ثراه تلك الروايات واستنتج من ذلك أن الخلفاء لم يجمعوا القرآن قط وأن سهم عثمان في هذا الأمر هو جمعه الناس على قراءة

---

١. تاريخ الطبري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ج ٦، ص ٢٩٩.
تاريخ الكامل لابن الأثير، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٥/١٩٨٥، ج ٥، ص ٣٩.

واحدة و هى القراءة التي كانت متعارفة بين المسلمين و التي تلقوها بالتواتر عن النبيﷺ و أنه منع عن القراءات الأُخرىٰ لأن الإختلاف في القراءة كان يؤدي الى الإختلاف بين المسلمين (و على من يريد البحث التفصيلي المراجعة الى تفسير البيان من ص ١٨٧ الى ص ١٧٨)

على أي حال:

اذا إستقر في أذهان المسلمين أن القرآن إنما جُمع بعد الرسولﷺ فأصبح الأمر سهلاً يسيراً لأعداء الإسلام فوضعوا أحاديث دالة على سقوط كثير من الآيات و الجمل حتىٰ بعض السور عن القرآن الموجود بين الدفتين لأنها ضاعت حينما أراد أبو بكر أو عمر أو عثمان أن يجمع القرآن حسب زعمهم - و نسبوا هذه المفتريات الى الكبار من الصحابة و أُمهات المؤمنين.

ولأن المسلمين كانوا ذاهلين عن مغزىٰ تلك الروايات وكانوا يتلقونها كأحاديث فضائل الصحابة فتقبلوها بقبول حسن و لم يتذكروا أن النبيﷺ كان جعل القرآن معياراً لإختيار الحديث ولكنهم قلبوا ذلك المعيار رأساً على عقب و جعلوا الحديث معياراً لكمال أو نقص القرآن و لم يتنبهوا أن تلك الروايات مؤداها الأصلي هو إزالة إعتقاد أصالة القرآن و حقانيته بالمرة عن قلوب المسلمين.

ج) بعض الروايات الدالة على النقص في القرآن

إنه لايمكن في مقالة مختصرة إيراد فهرست الجمل و الآيات

والسور التي يزعمون سقوطها عن القرآن فضلاً عن إستيعابها بالتفصيل ولكنا نشير هنا الى بعضها بعنوان المثال:

١ - سورة الأحزاب:

فالروايات تدّعي إنها كانت تعدل سورة البقرة أو هي أطول.

فدعوىٰ أنها كانت مائتي آية منسوبة الى عائشة:

وأخرج أبوعبيد في الفضائل وابن الأنباري وابن مردويه عن عائشة قالت: كانت سورة الأحزاب تقرأ في زمن النبي مائتي آية فلما كتب عثمان المصاحف لم يقدر منها إلا علىٰ ما هو الآن.[1]

فبناءً على هذا، لقد ضاع من السورة ١٢٧ آية فإنا لا نرىٰ فيها إلا ٧٣ آية.

أما حذيفة بن اليمان فينسب اليه القول بضياع سبعين آية فقط:

وأخرج البخاري في تاريخه عن حذيفة قال: قرأت سورة الاحزاب على النبي فنسيت منها سبعين آية ما وجدتها.[2]

ولكنه يروي عاصم بن أبي النجود عن زرّ بن حبيش أنه قال:

قال لي أبي بن كعب: كم تعدون سورة الاحزاب؟ قلت إثنين

---

١. الدر المنثور، للسيوطي، ج ٥، ص ١٧٩ و ١٨٠.
الإتقان، للسيوطي، ج ٢، ص ٢٥.

٢. نفس المصدر.

و سبعين آية أو ثلاثاً و سبعين آية، قال:

إن كانت لتعدل سورة البقرة (الحديث)[١]

و رواية أُخرى تنسب إليه القول بأنها كانت أطول من البقرة: عن زرقان: قال لي أبي بن كعب: كم تعدون سورة الاحزاب؟ قلت: ثلاثاً و سبعين آية - قال: فوالذي يحلف به ابي بن كعب إن كانت لتعدل سورة البقرة أو أطول (الحديث)[٢]

و نفس المضمون مروي عن عكرمة.

٢ـ سورة التوبة:

وكذلك زعموا أنه لقد ضاع أكثر من ثلثي التوبة أو ثلاثة أرباعها أو أن جمعها كما ينقل السيوطي:

و أخرج أبوالشيخ عن حذيفة رضي الله عنه قال:

ما تقرؤن ثلثها يعني سورة التوبة.[٣]

و أيضاً يقول:

و في المستدرك عن حذيفة قال: ما تقرؤن ربعها يعني براءة.[٤]

و أخرج الحاكم عن حذيفة: قال ما تقرؤن ربعها يعني براءة و أنكم تسمونها سورة التوبة و هي سورة العذاب ثم قال الحاكم: هذا

---

١. تفسير الكشاف، للزمخشري، القاهرة، ج ٣، ص ٢٣٨.
كنزالعمال، للملا علي المتقي الهندي.

٢. الدر المنثور، ج ٥، ص ١٧٩.

٣. الدرالمنثور، ج ٣، ص ٢٠٨.

٤. الاتقان، ج ٢، ص ٢٦.

حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه.[١]

و عن مالك: إن أولها لما سقط، سقط معه البسملة فقد ثبت أنها كانت تعدل البقرة لطولها.[٢]

٣- سورتا الحفد و الخلع:

و قالوا أنهما كانتا في مصاحف أبي بن كعب و أبي موسىٰ الأشعري و إبن عباس[٣] وكان عمر يقنت بهما.[٤]

ولكن السورتين آثار الوضع ظاهرة عليهما و فيهما اغلاط سمجاء تدل على أن واضع تلك الروايات لم يكن من العرب العرباء فانه يُرىٰ من المستحيل لعمر أو أبي بن كعب أو أبي موسىٰ أو إبن عباس أن يخاطبوا الله بهذه الألفاظ:

«اللهم إنا نستعينك و نستغفرك و نثني عليك الخير و لا نكفرك و نخلع و نترك من يفجرك.»

فهل يشبه «نثني عليك الخير» بآداب العبودية التي علّمها القرآن للمسلمين؟ و ما هو المراد من «لانكفرك»؟ لأن هذه الكلمة بهذه الصورة تفيد معنىٰ «لانسترك» و من يقدر على ستر الله جل شأنه؟ وإن أراد الوضع إستعمال «الكفر» بمعنىٰ «ضد الإسلام» فكان لازماً

---

١. المستدرك على الصحيحين، للحافظ الحاكم النيشابوري (طبع حيدرآباد، الهند)، ج ٢، ص ٣٣١.
٢. الإتقان، ج ١، ص ٦٥.
٣. نفس المصدر.
٤. نفس المصدر، ج ١، ص ٢٥ و ٢٦.

عليه ان يأتي بأداة التعدية «الباء» أي يقول: «لانكفر بك» و ما هو المراد من «ليفجرك»؟

و السورة الثانية حسب روايتهم كما يلي:

اللهم اياك نعبد و لك نصلي و نسجد و اليك نسعىٰ و نحفد نرجو رحمتك و نخشىٰ عذابك الجد إن عذابك بالكفار ملحق - يقول شيخ مشايخنا العلامة محمد جواد البلاغي رحمه الله.

«و لنسامح الراوي أيضاً فيما سامحناه في الرواية الاولىٰ (أي: إن هذا الكلام لايشبه بلاغة القرآن و لاسوقه) و لكنا نقول له: ما معنىٰ الجد هنا؟ أهو العظمة أو الغنىٰ أو ضد الهزل أو هو حاجة السجع... و ما هي النكتة في التعبير بقولهِ ملحق و ما هو وجه المناسبة و صحة التعليل لخوف المؤمن من عذاب الله بأن عذاب الله بالكافرين ملحق بل إن هذه العبارة تناسب التعليل لأن لا يخاف المؤمن من عذاب الله لأن عذابه بالكافرين ملحق.[1]

٤ـ سورة مثل البراءة:

لقد نسب الى أبى موسيٰ الاشعري أنه قال:

«و لكنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول و الشدة ببراءة فأنسيتها غير أني حفظت منها، لو كان لإبن آدم واديان من مال لابتغىٰ ثالثاً و لا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب.»[2]

---

١. ألاء الرحمن في تفسير القرآن: للشيخ محمد جواد البلاغي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ١، ص ٢٣ و ٢٤.

٢. جامع الاصول، مصر، ١٣٧٠ هـ، ٣، ص ٨، الحديث رقم ٩٠٤ ـ الدر المنثور، ج ١، ص ١٠٥.

٥ـ سور مثل المسبحات:

و ينسبون إليه أيضاً أنه قال:

«... وكنا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدىٰ المسبحات فأنسيتها غير أنى حفظت منها» يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون فتكتب شهادة في أعناقكم فتساءلون عنها يوم القيٰمة.»[١]

٦ـ ضياع كثير من القرآن:

السيوطي يقول:

قال أبوعبيد حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن أيوب عن نافع عن إبن عمر قال: لا يقولن أحدكم قد أخذت القرآن كله و ما يدرك ما كله قد ذهب منه قرآن كثير ولكن ليقل: قد أخذت منه ما ظهر.[٢]

توجد هناك روايات كثيرة تشير الى ضياع كثير من الآيات و السور وكلها منسوبة الى كبار الصحابة و التابعين و نذكر هنا أسماء بعضهم على سبيل الإستطراد:

١) أم‌المؤمنين عائشة ٢) أم‌المؤمنين حفصة ٣) أم‌المؤمنين أم‌سلمة ٤) عمر بن الخطاب ٥) عبد الله بن عباس ٦) عبد الله بن مسعود ٧) عبد الرحمن بن عوف ٨) أبيّ بن كعب ٩) أبو موسىٰ الأشعري ١٠) زيد بن أرقم ١١) جابر بن عبد الله الأنصاري ١٢) بريدة ١٣) مسلمة بن مخلد ١٤) أبو واقد الليثي ١٥) خالة أبي أمامة بن سهل

---

١. نفس المصدر.

٢. الدر المنثور، ج ١، ص ١٠٦ ـ الإتقان، ج ٢، ص ٢٥.

١٦) عبدالله بن عمر ١٧) عكرمة ١٨) أبو الأسود الدؤلي ١٩) حذيفة بن اليمان ٢٠) الإمام مالك بن أنس.

وأثبتت تلك الروايات في مجاميع أحاديث أهل السنة بشمول الصحاح الستّة: فمنها ١) صحيح البخاري ٢) صحيح مسلم ٣) سنن أبي داود ٣) صحيح الترمذي ٥) سنن النسائي ٦) سنن البيهقي ٧) مسند أحمد بن حنبل ٨) موطأ أمام مالك ٩) تاريخ البخاري ١٠) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١١) كنزالعمال للملا علي المتقي ١٢) تفسير الدر المنثور للسيوطي ١٣) الإتقان للسيوطي ١٤) جامع الأصول ١٥) المحاضرات للراغب الاصفهاني ١٦) جمع الجوامع ١٧) حلية الأولياء للحافظ أبي نعيم ١٨) المستدرك للحاكم النيشابوري.[١]

وكذلك توجد الروايات المنسوبة الى أئمة أهل بيت الرسالة المبثوثة في كتب الشيعة، ولكنه يوجد بون شاسع بين فكرة أهل السنة حول هذه الروايات و فكرة الشيعة، كما سيوضح فيما يلي.

د) فكرة أهل السنة حول هذه الروايات

نظرية نسخ التلاوة و مؤدّاها

فكرة إخواننا أهل السنة مبنية على إعتقادهم بصحة كل ما روي في الصحاح الستة و بالخصوص صحيح البخاري و صحيح مسلم،

---

١. انظروا للتفصيل في إستقصاء الإفحام، للمير السيد حامد حسين الموسوي (صاحب عبقات الانوار)، ج ٢، بحث تحريف القرآن.

فانهم يتقبلونها بدون أي نقد أو نظر، كما يقول الإمام النووي في شرح صحيح مسلم.

«و تلقي الأُمة بالقبول إنما أفادنا وجوب العمل بما فيهما و هذا متفق عليه ـ فإن أخبار الآحاد التي هي في غيرهما يجب العمل بها اذا صحت اسانيدها و لا تفيد إلا الظن وكذا الصحيحان ـ و انما يفترق الصحيحان و غيرهما في كون ما فيهما صحيحا لا يحتاج الى النظر فيه بل يجب العمل به مطلقاً ـ و ماكان في غيرهما لا يعمل به حتىٰ ينظر و يوجد فيه شروط الصحيح.»

هذا الإعتقاد و الإذعان بصحة كل ما أدرجه البخاري و مسلم في كتابيهما (بدون أي شرط، بدون الحاجة الى أي نقد و نظر) لقد ألجأ إخواننا أهل السنة الى التشبث بنظرية نسخ التلاوة ـ أي أنها كانت هناك آياتٌ نُسِخت تلاوتها مع بقاء حكمها و آيات أُخر نسخت تلاوتها و حكمها معاً ـ ولكنه لا يوجد أي مبنىٰ لهذه النظرية في كلام الشارع عليه السلام ـ نعم نسب هذا القول الى بعض الصحابة و التابعين بدون أي مستند من قول الرسول صلى الله عليه وآله.[١]

و علاوةً على ذلك نرىٰ في بعض الروايات المتقدمة التصريح بأن الآية الفلانية أو السورة الفلانية كانت تقرأ في زمن الرسول صلى الله عليه وآله و ضاعت بعد وفاته ـ فعمر مثلاًكان مصرّاً ـ حسب تلك الروايات ـ إن آية الرجم من القرآن المتلو و أنه اتىٰ بتلك الآية الى زيد بن ثابت

١. أُنظروا لهذه الأقوال في الدر المنثور، ج ١، ص ص ١٠٣ ـ ١٠٥.

ولكنه لم يكتبه لانه كان وحده[1] و عائشة تصرح بأن آية الرضاع كانت تقرأ في القرآن حينما توفي رسول الله ﷺ و الروايات المتعلقة بهاتين الآيتين المزعومتين مروية في الصحيحين وكتب أخرىٰ:

عن عائشة أنها قالت:

كان فيما أُنزل من القرآن عشر رضعات يحرّمن ثم نسخن بخمس رضعات - فتوفي رسول الله ﷺ و هن فيما يُقرأ من القرآن.[2]

و أشد صراحة بضياع الآيات بعد الرسول ما نسب الى عائشة كما نقله السيوطي.

«و أخرج إبن ماجة عن عائشة قالت: لقد نزلت آية الرجم و رضاع الكبير عشراً و لقد كان في صحيفة تحت سريري فلما مات رسول الله ﷺ و تشاغلنا بموته دخل داجن فأكلها.»[3]

فظهر بكل وضوح أن نظرية نسخ التلاوة لا يجدي نفعاً لأن الآيات أو السور لو كانت تقرأ في زمن رسول الله ﷺ ثم ضاعت أما بسبب شهادة حفاظ القرآن أو بسبب أكل داجن أو غير ذلك فللسائل أن يسأل: من نسخ هذه الآيات أو السور المزعومة بعد النبي ﷺ؟ هل جاء نبي بعد محمد ﷺ؟ و لذلك قال السيد الخوئي طاب ثراه:

---

١. صحيح البخارى، ج ٤، ص ١٧٥ - ٢٦٥ - صحيح مسلم، ج ٣، ص ١٣١٧ - موطأ امام مالك، ج ٢، ص ٦٢٣ - سنن ابن ماجة، (مصر) ج ٢، ص ٨٥٣ - الإتقان، ج ١، ص ١٠١ - مسند أحمد بن حنبل (مصر)، ج ١، ص ٤٠.

٢. صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٦٧ - الدر المنثور، ج ٢، ص ١٣٥.

٣. الدر المنثور، ج ٢، ص ١٣٥ - مسند أحمد بن حنبل (مصر ١٣١٣ هـ)، ج ٦، ص ٢٦٩ - سنن إبن ماجة، ص ٦٢٦ - تأويل مختلف الأحاديث لإبن قتيبة (مصر)، ص ٢١٠.

و غير خفي أن القول بنسخ التلاوة هو بعينه القول بالتحريف و الإسقاط.[١]

هـ) نظرية الشيعة

لقد رأيناه أن القول بنسخ التلاوة و التشبث به لحل هذه المعضلة لا يسمن و لا يغني من جوع، فالآن بقىٰ علينا أن نرىٰ كيف تعالج الشيعة مثل هذه الروايات.

نظريّتنا حول الأحاديث و مجاميعها تختلف كليةً عن نظرية إخواننا أهل السنة - فإن الشيعة لا يعتقدون بعصمة أيِّ مصنف أو مفسر أو محدث كائناً من كان عن الخطأ و الزلل و بناءً على هذا لا يقولون بصحة أي مجموعة الأحاديث بتمامها. فإن الكتاب الوحيد الذي يعتقدون بصحته و مصونيّته عن كل نقص أو خلل هو كتاب الله المجيد - الفرقان الحميد - الذي قال الله سبحانه و تعالىٰ في حقه:

و إنه لكتاب عزيز لا يأتية الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.[٢]

فمجاميع الأحاديث المشار اليها بالبنان عند الشيعة هي: **الكافي** (للكليني (ره)) و **من لايحضره الفقيه** (للصدوق (ره)) و **تهذيب الأحكام** و **الإستبصار فيما إختلف من الاخبار** (كلاهما للطوسي (ره)) المعروف بالكتب الأربعة المتقدمة - و هم ينظرون الى

---

١. تفسير البيان، للخوئي، ص ٢٢٣.

٢. سورة فصلت آية ٤١ - ٤٢.

مؤلفي هذه المجاميع بكمال تجليل و غاية إحترام و يقدرون جهودهم بتقدير تام و يعترفون بفضلهم وكمالهم و حسن نيتهم و صفاء طويتهم و زهدهم و تقواهم و علو مراتبهم في العلم و العمل و سمو مدارجهم في خدمة الدين و نشر المعارف الإلهية و يذعنون أن لهؤلاء الشيوخ عليهم الرحمة منة على ملة الشيعة الى الأبد - و مع كل ذلك هم لا يسمون هذه الكتب «الصحاح» و لا يقولون أن كل ما فيها صحيح لا يحتاج الى النقد و النظر.

فالشيعة يضعون كل حديث - في أي كتاب وُجد - تحت عدسة النقد و الإعتبار - فينظرون في سنده و متنه و يعرضونه على كتاب الله و السنة المقبولة و اذا و جدوه سليماً من ناحية الرواية و الدراية و موافقا للأدلة العقلية و النقلية فيقبلونه و إن كان في الكتب الغير الشيعية - و إلاّ فينظرون هل يمكن تأويله على وجه مقبول فيؤولونه و إن لم يمكن تأويله فيردونه و يضربونه على الجدار و إن كان في الكتب الشيعية.

و اذا نظرنا في الروايات التى تدل على التحريف أو سقوط جزء من الآية أو الآية بكاملها من كتاب الله نجد أن الأكثر منها ضعيفة من ناحية الرواية (ولكنه مع ذلك يمكن تأويل بعضها الى معانٍ صحيحة).

فمنها الروايات التي تدل على التحريف بعنوانه - مثلاً:

قال أبوجعفر عليه السلام في حديث طويل:

أما كتاب الله فحرفوا و أما الكعبة فهدموا و أما العترة فقتلوا

(الحديث).[1]

فهذا يمكن تأويله أن المراد بالتحريف حمل الآيات على غير معانيها و على هذا فلا مانع من قبوله.

و منها الروايات التى تدل على أن بعض الآيات قد ذكرت فيها أسماء الائمة عليهم السلام كما روىٰ العياشي (ره) بإسناده عن الصادق عليه السلام:

«لو قرىء القرآن كما أُنزل لألفيتنا مسلمين.»

يقول السيد الخوئي (ره):

إنا قد أوضحنا فيما تقدم أن بعض التنزيل كان من قبيل التفسير للقرآن و ليس من القرآن نفسه - فلابد من حمل هذه الروايات على أن ذكر أسماء الائمة في التنزيل من هذا القبيل - و اذا لم يتم هذا الحمل فلابد من طرح هذه الروايات لمخالفتها للكتاب و السنة و الأدلة المتقدمة على نفي التحريف.»

ثم يذكر السيد الخوئي الأدلة العقلية و النقلية على كذب هكذا روايات.

و منها الروايات التى تدل على سقوط بعض الألفاظ أو الفقرات أو الآيات من القرآن - و الأحاديث من هذا القبيل كثيرة في كتب الفريقين - و ننقل بعضاً منها بعنوان المثال من كتب أهل السنة مضافاًالى ما مر آنفا:

أخرج إبن مردويه عن إبن مسعود قال: كنا نقرأ على عهد

---

۱. تفسير البيان، للخوئي، ص ۲٤۷ و تفصيل هذه الروايات والتبصرة عليها مأخوذ من هذا التفسير بالإختصار.

رسول الله ﷺ: يا أيهاالرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك أن علياً مولىٰ المؤمنين و إن لم تفعل فما بلغت رسالته و الله يعصمك من الناس.[١]

و أخرج إبن أبي حاتم وإبن مردويه وإبـن عسـاكـر عـن إبـن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقرأ هذا الحرف:

وكفى الله المؤمنين القتال بعلي بن ابي طالب.[٢]

و من هذا القبيل الروايات التي تدل على سقوط سهم كبير من سورة براءة أو الأحزاب كما مر آنفا و التي تشير أو تصرح بأن سـورة براءة كانت مشتملة على أسماء المنافقين.

ولكنه لا دلالة في ذلك على أن هذه الزيادات كانت من القرآن. بل الصحيح أنها كانت تفسيراً بعنوان التأويل (أي ما يؤول إليه الكلام) أو بعنوان التنزيل من الله شرحاً لمراد القرآن بدون ان يكون جزءً من القرآن.

و منها الروايات التي تدل بصورة عامة على أن القرآن كان أزيد بكثير من المقدار الموجود بأيدينا ـ فالسيوطي يقول:

أخرج الطبراني بسند موثق عن عمر بن الخطاب مرفوعاً:

القرآن ألف ألف و سبعة و عشرون ألف حرف.»[٣]

(أي مليوناً و سبعة و عشرين ألف حرف) مع أن عدد الحروف بأجمعها في القرآن لا يزيد على مائتي و سبع و ستين ألف و ثلاث

---

١. الدر المنثور، ج ٢، ص ٢٩٨.

٢. نفس المصدر، ج ٥، ص ١٩٢.

٣. الإتقان، ج ٢، ص ٧٠.

و خمسين كما يقولون فبناءً على هذا ليس بأيدينا الآن إلا ربع القرآن فقط - ولكن الذهبي أوّلَ هذا القول بأنه ناظرٌ الى الوحي المتلوّ و مسوخ التلاوة جمعاً.

وكذلك عزىٰ في الكافي حديثاً بمثل هذا المضمون:

علي بن الحكم عن هشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن القرآن الذي جاء به جبرئيل عليه السلام الى محمد صلى الله عليه وآله سبعة عشر ألف آية.[1]

ولكن عدد الآيات في القرآن ٦٢٣٦ فقط.[2]

و الشيخ الصدوق رحمه الله كتب في إعتقاداته ما يفسر هذا الحديث بوجه حسن - فإنه يقول:

... نقول أنه قد نزل من الوحي الذي ليس بقرآن ما لو جمع الى القرآن يكون مبلغه مقدار سبع عشرة ألف آية و ذلك مثل قول جبرئيل للنبي: إن الله يقول لك: يا محمد دارِ خلقي مثل ما اُداري - و مثل قولهِ: عش ما شئت فإنك ميت و أحب ما شئت فانك مفارقه و إعمل ما شئت فإنك ملاقيه - و شرف المؤمن صلاته بالليل و عزته كف الأذىٰ عن الناس - و مثل قول النبي صلى الله عليه وآله: ما زال جبرئيل يوصيني بالسواك حتىٰ خفت أن أدرد و ما زال يوصيني بالجار حتىٰ ظننت أنه سيورثه و ما زال يوصيني بالمرأة حتىٰ ظننت أنه لاينبغي طلاقها و ما زال

---

١. الكافي، للكليني(ره)، ج ٢، ص ٤٦٣ (كتاب فضل القرآن، باب النوادر).

٢. المعجم الإحصائي للدكتور محمود روحاني - مشهد ١٤١٠/١٩٩٠، ص ١٦٨ ولكن اكثر المصنفين و الخطباء يكتبون و يقولون أن هناك ستة آلاف و ستمائة و ست و ستين آية في القرآن - و هذا من أبرىٰ الأمثلة لتساهل و غفلة المسلمين في الأمور المتعلقة بكتاب الله.

يوصيني بالمملوك حتىٰ ظننت أنه سيضرب له أجلاً يعتق فيه ـ و مثل قول جبرئيل للنبي حين فرغ من غزوة الخندق: يا محمد إن الله يأمرك أن لا تصلي العصر إلا في قريظة ـ و مثل قوله ﷺ: أمرنا ربنا بمداراة الناس كما أمرنا بأداء الفرائض ـ و مثل قوله ﷺ: إنا معاشر الأنبياء أمرنا الله تعالىٰ أن لا نكلم الناس إلا بمقدار عقولهم و مثل قوله ﷺ: إن جبرئيل أتانا من قبلِ ربي بأمر قَرت به عيني و فرح به صدري و قلبي ـ قال إن الله عزوجل يقول إن علياً أمير المؤمنين و قائد الغر المحجلين ـ و مثل قوله: نزل عليّ جبرئيل فقال: يا محمد إن الله تبارك و تعالىٰ قد زوج فاطمة علياً من فوق عرشه و أشهد على ذلك خيار اُمتك ـ.

مثل هذا كله وحي ليس بقرآن ولو كان قرآناً لكان مقروناً به و موصولاً به غير مفعول منه.[١]

فمحصل القول أنه يمكن حمل بعض الروايات على التحريف بالمعنىٰ و البعض الآخر على أن الزيادات المروية كانت تفسيراً بعنوان التنزيل أو التأويل بدون أن تكون جزءً من القرآن أو أنها كانت من الأحاديث القدسية التي كانت توحىٰ الى النبي ﷺ ولكنها لم تكن جزءً من القرآن.

فإن أمكن تأويل رواية بهذا العنوان فيها ـ وإلا فتضرب تلك الرواية على الجدار كما يقول جلُّ علماءنا المحققين ـ لكونها مخالفة للكتاب و السنة المقبولة وإجماع المسلمين.

و يقول السيد الخوئي طاب ثراه:

---

١. الإعتقادات، للصدوق (ره).

«على أن أكثر هذه الروايات بل كثيرها ضعيفة السند و بعضها لا يحتمل صدقه في نفسه ـ و قد صرح جماعة من الأعلام بلزوم تأويل هذه الروايات أو لزوم طرحها.

«و ممن صرح بذلك المحقق الكلباسى حيث قال على ما حكي عنه: «أن الروايات الدالة على التحريف مخالفة لإجماع الأُمة إلا من لا إعتداد به... و قال: إن نقصان الكتاب مما لا أصل له و إلا لأشتهر و تواتر نظرا الى العادة في الحوادث العظيمة ـ و هذا منها بل أعظمها.»

«و عن المحقق البغدادي شارح الوافية التصريح بذلك و نقله عن المحقق الكركي الذي صنف في ذلك رسالة مستقله ـ و ذكر فيها.» «إن ما دل من الروايات على النقيصة لابد من تأويلها أو طرحها ـ فإن الحديث اذا جاء على خلاف الدليل من الكتاب والسنة المتواترة والإجماع ولم يمكن تأويله ولا حمله على بعض الوجوه وجب طرحه.»[1]

فهذا هو منهج الشيعة ـ و اذا تأمل فيه الباحث الخبير بعين الإنصاف فسيعترف أنه هو السبيل الوحيد الذي تندفع به جميع المعضلات التي يعانيها المسلمون من ناحية الروايات ـ و أنه ينطبق تماماً بالمعيار الذي أقامه الشارع عليه السلام وأشار إليه الإمام الصادق عليه السلام حينما قال: «... فما و افق كتاب الله فخذوه و ما خالف كتاب الله فدعوه...»[2]

---

١. تفسير البيان، ص ٢٥٣.

٢. تفسيرالبيان، ص ٢٥٣.

و) ما هو الهدف الحقيقي للاسلام الأمريكي من إثارة هذه الفتنة في الوقت الحاضر

لقد ظهر مما ذكر آنفا كيف نجح أعداء الإسلام في إختلاق الروايات للنيل من قداسة القرآن - و مضت على ذلك قرون و تقبل المسلمون تلك الموضوعات و أدرجوها في مجاميع أحاديثهم - و لكنا نرىٰ العلماء المحققين من أهل السنة و الشيعة لا يقبلون عقيدة التحريف - مع وجود تلك الروايات في الكتب و لا يعتقدون أن هناك زيادة في القرآن أو نقيصة أو تبديل الألفاظ و هم يشكلون الأكثرية الساحقة من العلماء و لم يتهم أي عالم منصف من السنة و الشيعة مخالفيه بأنهم يعتقدون بالتحريف.

نعم! لقد كان هناك أهل الجدال و المناظرة و أصحاب الكلام و المناقشة الذين كانوا يشنعون مخالفيهم بوسيلة تلك الروايات بأنهم يعتقدون بتحريف القرآن - و إستمروا على هذا المنوال في مقام المجادلة و المناظرة مع علم كل فريق منهم أن هذا الإعتراض سخيف لا يقوم على ساق.

و لا ننكر أنه لقد كان في أهل السنة و الشيعة جمع من العلماء و المحدثين الذين كانوا في الواقع يعتقدون بالتحريف بالنقيصة و تبديل الألفاظ كما يقول السيد الخوئي طاب ثراه:

«نعم ذهب جماعة من المحدثين من الشيعة و جمع من علماء أهل السنة الى وقوع التحريف - قال الرافعي: «فذهب جماعة من أهل

الكلام ممن لا صناعة لهم إلا الظن و التأويل و إستخراج الأساليب الجدلية من كل حكم وكل قول الى جواز أن يكون قد سقط عنهم من القرآن شيءٌ حملاً على ما وصفوا من كيفية.»[١]

و مع ذلك بقيت تلك الروايات و المجادلات مدفونة في ذخائر الكتب و المكتبات لا يقام لها وزن عند العلماء المحققين من الفريقين - ولكن الوضع تحول دفعةً في فبراير سنة ١٩٧٩م بعد نجاح الثورة و قيام الجمهورية الاسلامية في إيران تحت قيادة الإمام الراحل الخميني (رضوان الله عليه) و العلماء الأعلام القيادة الفذة الوحيدة التي لا يوجد لها نظير في التاريخ.

و لو أدّت تلك الثورة الى إقامة دولة منقادة لقوىٰ الإستكبار -الغربية أو الشرقية- لَرَحَّب بها المستكبرون (أو سامحوها، على الأقل) حتىٰ و لو كانت هي دولة ديكتاتورية - ولكن قادة الثورة الإسلامية - بالعكس من السياسة المعهودة الى تلك الأوان - أعلنوا أنهم يتبعون خط الإسلام فقط و يقتفون أثره - ثم نادوا بشعار الوحدة الإسلامية - الشعار الذي حسبته القوىٰ الإستكبارية كجرس الخطر لمصالحها - ولكن المسلمين تقبلوه بكل ترحيب في أقطار العالم من مراكش الى الفيليبين و من اُوربا الى أمريكا - و الجماهير المضطهدة في أنحاء العالم رأت بأعينها كيف قام الإيرانيون في وجه أعظم القوىٰ العسكرية آنذاك في الشرق الأوسط و أسقطوها بالأيدي الخالية عن السلاح بقوة الإيمان بالله فقط - فإستلهمت الجماهير من هذه الثورة

---

١. تفسير البيان، ص ٢١٩، و قول الرافعي منقول هٰهنا عن كتابه إعجاز القرآن، ص ٤١.

الإعتماد على الله سبحانه و تعالىٰ و هذا الإعتماد بدوره أوجد شجاعة راسخة في نفوسهم و إستقامة غير المتزلزلة في قلوبهم - و بدت مظاهر ذلك حتىٰ في البلاد غير المسلمة كأفريقيا الجنوبية.

و مدىٰ تأثير «الخمينية» و محبوبية الخميني في أعماق القلوب دقّ جرس الخطر للولايات المتحدة الأمريكية -الزعيم الأعلىٰ للدول الغربية - فنادت أمريكا جميع حلفاءها و توابعها فتحشدوا و جمعوا قواتهم ليقضوا على الدولة الإسلامية في المهد - فأوجدا في سبيلها العراقيل واحدة بعد أُخرى: الحصار الاقتصادي و الحرب المفروضة و الدعايات في وسائل الإعلام و الاجتماعات السياسية و المؤتمرات الدولية و أقنعوا عملائهم في شبه الجزيرة العربية و الكويت و غيرها أن نداء الوحدة الإسلامية خطر يهدد عروشهم ليس إلاّ ووسوسوا في صدور هٰؤلاء عملائهم الوهابيين أن يشددوا نكيرهم على ما يسمونه بالخمينية و على التشيع و إيران - فالأقلام المستأجره بدأت تتحرك بسرعة مدهشة لتأليف الكتب و المقالات و الكتيبات ضد الشيعة فإتهموا الشيعة أنهم هم الكفرة الفجرة.

و قالوا إن الشيعة هم المشركون بالله

و إدّعوا أن الشيعة يعتقدون بتحريف القرآن و نقصه و زعموا أن الشيعة عندهم قرآن آخر غير هذا القرآن الموجود بأيدي المسلمين...

و... و....

و المعروف من بين هٰؤلاء المستأجرين هم إحسان إلهي ظهير و بليغ الدين في الپاكستان و منظور أحمد النعماني و أبو الحسن علي

الندوي في الهند و هذا الأخير تقلباته عجيبة ـ فإنه كان، قبل قيام الجمهورية الإسلامية الإيرانية، يتظاهر كالبطل المدافع لقضية الوحدة الإسلامية (وهو رئيس لجنة القوانين العائلية الإسلامية في الهند و نيابة الرياسة لهذه اللجنة مختصة بعالم شيعي ـ و هنا يتناسقان بأحسن وجه في هذه المسئولية) ولكنه حينما رفعت القيادة الإيرانية لواء الوحدة الإسلامية تحوَّل وجهه و إنحاز مع القوىٰ المعاندة للوحدة الإسلامية و تلوّن كتلوّن الحرباء.

و اذا ألف عملاء الوهابية كتاباً في العربية أو الأُردية أو لغة أُخرىٰ يُترجم ذلك الكتاب في أشهر قلائل في أكثر اللغات المتدأولة في عالم الإسلام و في بعض اللغات الأُروبية و توزع النسخ مجاناً في أيام الحج و بواسطة رابطة العالم الاسلامي في أقطار العالم. و اذا قرأت تلك الدعايات ستستيقن أنهم يستعملون خنجراً لصهيونية متلطخة بدماء المسلمين كالقلم و المداد و أن الصوت الذي يخرج من حناجرهم ينبعث من أعماق المخابرات المركزية الأمريكية في واشنطن.

و لا ريب أن هٰؤلاء المستأجرين و أسيادهم في الرياض و بلاد أُخرى يتوقعون أن هذه الدعايات سيمنع من إنتشار الفكرة الثورية الإيرانية في شباب المسلمين ـ كما أقرَّ بذلك أبو الحسن علي الندري في مقدمة كتاب ـ و لكنه يجب عليهم أن يفكروا هل هذا هو الهدف الحقيقي لأربابهم الأمريكيين؟ لماذا يشجعهم الأمريكيون لإثارة هذه الفتنة؟ هل هٰؤلاء اليهود و النصارىٰ معادون للتشيع فقط و يحبون نشر

التسنن أو التوهب؟ كلاًّ! و ألف كلاًّ!! لو كان الأمر كذلك فلماذا كانوا يحبون الشاه المخلوع؟ لماذا يعادون القذافي؟ لماذا لم يسمحوا لأربكان أن يُشكِّلَ الوزارة في تركيا؟ و لماذا ألغَوا الانتخابات في الجزائر؟ و لماذا... و لماذا... أفلا ترون أن الهدف الحقيقي وراء الستار هو هدم أساس الإسلام بالكلية و إزالة الإعتقاد في القرآن و شريعة القرآن كمبدأ حَيٍّ لصلاح الدنيا و فلاح الآخرة.

مع الأسف هؤلاء المقنعون بالإسلام الأمريكي لايتنبهون لهذا حينما ينبشون روايات التحريف من الكتب الشيعية و ينشرونها في أقطار العالم - أفلا يعلمون أن دعايتهم هذه ستكون تحريضاً للشيعة أن ينشروا أضعاف تلك الروايات من كتب أهل السنة؟ و بهذا تتم خطة واشنطن و لندن - لأن هذه المشاجرات ستوسّع المجال لمبشري المسيحية أن يَقِفُوا أمام جماهير المسلمين و يقولوا: «إن الكتاب الذي تؤمنون به لا يمكن الوثوق به قطعاً فإنه لعبت به أيدي المحرفين و لقد سقط منه كثير» - فبذلك ينهدم إيمان المستضعفين من المسلمين من القرآن و بالتالي من الإسلام و شريعة القرآن.

و لا ضير أن نذكر ههنا كتابا (أو نقول «نصف كتاب») نشرته الوهابية قبل سنوات - و هو فصل الخطاب في تحريف الكتاب من تأليفات المحدث الجليل الحاج الشيخ حسين النوري الطبرستاني(ره) (١٢٥٤-١٣٢٠ هـ) الذي جمع فيه أولا روايات أهل السنة ثم روايات الشيعة حول مسألة التحريف - و إستنتج منها نتيجة كانت قريبة من نتيجة نظرية نسخ التلاوة السنية ولكنها كانت مخالفة لما عليه جُل

العلماء المحققين الشيعة - فكتب رده الشيخ محمود الطهراني في رسالة سماها كشف الإرتياب عن تحريف الكتاب - ثم بقيَّ فصل الخطاب منسياً غير معروف حتىٰ في الأوساط العلمية - ولكن الآن الوهابية طبعوا ذلك الكتاب - بعد إسقاط الباب المتعلق بأحاديث أهل السنة - مدعياً أن هذا من الكتب المعتبرة للشيعة و الذي يظهر منه أن الشيعة يقولون بتحريف القرآن!! و لكنهم لو لم يُسقطوا ذلك الباب لكان أنفع لمصالح أربابهم المسيحيين فإن المسيحين يرجون أن هذا النقاش سيوفر لهم مجالاً واسعاً لتنصير المسلمين - و حتىٰ المسلمين الذين لا يتنصرون سيزول الإيمان من قلوبهم ولو بقوا متسمين بأسماء المسلمين - فانهم.

يقولون إن غلادستون (١٨٩٨-١٨٠٩م) رئيس الوزراء عدة مرات في عهد فكتوريا، قام مرة في البرلمان البريطاني و رفع في يده نسخة من القرآن الكريم وأعلن: «إنّا لا نستطيع أن نستعبد الأُمة المسلمة طالما إستمروا في إتباع هذا الكتاب» و لذا أشار علىٰ الانگليس أن يستعملوا كل حيلة لإضعاف عقيدة المسلمين في القرآن.

و يبدو أن المستعمرين كلهم أصغوا الى هذه النصيحة و تلقوها بترحاب تام - و نجحت سياسة الكفر - كما أشرنا - في اكثر بلاد الإسلام مثل تركيا و تونس و الجزائر و مصر و بلاد شتىٰ أُخرىٰ. فإنما تولّد فيها نسل جديد من المسلمين من مفاقس الإستعمار - لهم حساسية شديدة من الإسلام و القرآن - فيشمئزون كلما نادىٰ أحد

بإسم الإسلام في أنديتهم - و لقد كاد أعداء الإسلام أن ينجحوا في خطتهم في إيران أيضاً في الدور الپهلوي - ولكنهم فشلوا بسبب القيادة الصالحة تحت راية الإمام الخمينى (رضوان الله عليه) و مراجع التقليد و بسبب الفطرة السلمية المتدينة التي تتمتع بها الشعب الإيراني و ليس بغريب أن يشتمهم أعداء الإسلام بعد فشل محاولاتهم في البلد.

«يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره و لو كره الكافرون.»[1]

و آخر دعوانا أن الحمد للّٰه رب العالمين

---

١. سورة الصف آية ٨.